

مناقشة علمية لأحد الكُتَّاب

الأُسْتَاذ الدُّكتور

عارف بن عوض الركابي

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً، أما بعد

في شهر ربيع الأول عام ١٤٣٥هـ أعدتُ نشر مقال من حلقتين بعنوان: (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد النبوي) بعمودي (الحق الواضح) بصحيفة الانتباهة، وقد عقّب علىٰ المقال بعض الكُتّاب منهم كاتبٌ اسمه أبو عبيدة عمر، وقمت بالرد عليه وجرت ردود في حلقات، استمرت لفترة من الزمن، وقد رغب بعض الإخوة الذين تابعوا تلك الحلقات في جمعها ونشرها في كتاب؛ وذلك لأن كثيراً من الموضوعات التي تضمنتها تلك الحلقات بحاجة إلىٰ جمعٍ في موضع واحد ونشرٍ.

فأجبتهم في طلبهم وجمعتها في هذا الكتاب وكان عنوان الحلقات عند نشرها بالصحيفة: (تهافت حجج المدافعين عن بدعة المولد)، ولمّا كان موضوع الحلقات قد تضمّن موضوعات أخرىٰ غير مسألة المولد، رأيت أن يكون عنوان الكتاب: (حوار مع صوفي).

وإني آمل ممن يقرأ هذا الكتاب أن يكون الحق ضالته، وأن يعرض ما تضمنه علىٰ كتاب الله وسنة نبيه محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسأل الله تعالىٰ أن يرينا الحق حقـًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أ.د. عارف بن عوض عبد الحليم الركابي

الموقع الإلكتروني: www.arifalrikaby.com

البريد الإلكتروني: arifalrikabi@gmail.com

مدخل



اطلعت علىٰ مقالين نُشرا بصحيفة الانتباهة، زعم كاتبهما - هداه الله - أنّ فيهما الرد عليّ في مقاليّ اللذين نشرتهما بعمودي (الحق الواضح) في نفس الصحيفة بعنوان: (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد النّبوي)، ومن فضل الله تعالىٰ علي أنني ممن يرحبون ويسعدون بالمناقشة العلمية الموضوعية لما أكتب، إلا أنّي أُحبطتُ لما وجدت أنّ من صدَّر نفسه للتعقيب علىٰ ما كتبت بشأن بدعية الاحتفال بالمولد أن يكون (مُقّلّدًا) لا (باحثًا) وفرق بينهما! فقد عرَّف لنفسه بقوله: (وردًّا علىٰ مقالتيك وبما أنّني لست من أهل العلم بالحديث وعلوم الشريعة رجعت إلىٰ كتاب (الجامع للأدلة القرآنية والسنة الصحيحة المحمدية وخلاصة الأقوال الفقهية) لجامعه إمام السنة العلامة العبد عبد الله محمد سعيد رحمه الله، واستعنت بتلامذته للحصول علىٰ الأدلة ومصادرها) أ.هـ

فإن الكاتب وفق ترجمته لنفسه: مقلِّد وليس بباحث ولا أدري علىٰ أي أمر بنىٰ اختياره للكتاب المذكور والتلاميذ المذكورين لتكون تلك هي مصادر معلوماته؟! فهو يبين أنّه يعتقد أمرًا ويريد أن يدافع عنه قبل أن يعلم أدلته! وهذا مزلق خطير من مزالق الضلال والانحراف، فإن الواجب علىٰ من يريد بلوغ الحق والنجاة في الدنيا والآخرة أن يستدل أولًا ثم يعتقد وفق الأدلة الشرعية الثابتة وعلىٰ المنهج الصحيح في الاستدلال، وأمّا أن يعتقد ثم يبحث عن أدلة تؤيد اعتقاده كما في المثال المذكور فهو خلل كبير.

وإذا كان الكاتب قد لجأ إلىٰ كتاب معين وتلاميذ لشيخ معين ولم يجعل لنفسه البحث والنظر في الموضوع في مؤلفاته المختلفة ومظان البحث فيه المتنوعة، كما أنه لم يرجع إلىٰ زمان النبوة؛ ولو رجع لوجد البيان الواضح والإجابة الشافية لسؤال مهم: هل احتفل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بمولده؟! وهل الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة ومن اتبعوهم بإحسان من أهل القرون الثلاثة المفضلة فعلوا ذلك؟! ولو أطلق لنفسه العنان في (البحث العلمي) وأخرج نفسه عن (رِبقة التقليد) لما نثر تلك الكلمات، ولما وقع في تناقض عريض، ولما أدخل نفسه في نفق مظلم محرج لا أدري كيف رضيه لنفسه! وكيف يرضىٰ بهذا (التهافت) حيث أخبر عن نفسه أنه لا يملك الحجج والأدلة علىٰ أمر يجتهد المتصوفة لإثبات مشروعيته - بل فضله -!

وبيان أنّ الكاتب قد أدخل نفسه في حرج كبير أنّه ادعىٰ بقوله: (وردًّا علىٰ مقالتيك) وقال أيضًا: (وقف د/ عارف ثمانية وقفات مع المحتفلين بالمولد النّبوي) أ.هـ، إذن الكاتب يعلم أنّي كتبت مقالين وليس مقالًا واحدًا، ويعلم أيضًا أنّ الوقفات (ثماني وقفات)..!!، إذن فلماذا اقتصر رده علىٰ المقال الثاني فقط؟! ولماذا لم يرد أو يعلق علىٰ الوقفات الأربع التي تضمنها المقال الأول؟! لا أدري ما عذر الكاتب لهذا الخلل الكبير! هل ربما لم يجد لها إجابات في الكتاب الذي لجأ إليه للدفاع عن بدعة المولد؟! أم أنّ التلاميذ الذين لجأ إليهم قد حارهم الجواب عن الوقفات الأربع الأولىٰ والتي وردت في المقال الأول؟! وهذا لا يعني أنّ ما كتب في التعليق علىٰ الوقفات من الخامسة وحتىٰ الثامنة قد أصاب فيه، بالعكس فهو قد جاء بجملة جهالات وأخطاء فادحة، كما أنّه قد استخدم سياسة (الهروب) من بعض جزئيات

مقالي ويظهر ذلك في تعليقه علىٰ بعض أبيات الغلو التي أوردتها وترك أكثر الأبيات دون تعليق! ومن عجائب ما كتب أنّه أجاب عن بعض الأبيات في الغلو ثم لما جاء لحديث: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**»[1] قال: هذا خارج عن محل النزاع، فالكاتب مارس نوعين من أنواع الهروب وهما (الهروب الكلي) وذلك بإهماله المقال الأول كاملًا، و(الهروب الجزئي) وهو التعليق علىٰ بعض جزئيات مقالي وترك بعض الجزئيات المماثلة لها، وقد كتب عجائب تدل علىٰ جهل كبير جدًّا - للأسف الشديد - من ذلك قوله: (وكلمة دكتور كلمة غير عربية وهي مما اختص به النصارىٰ فما باله تابعهم، ثم إن له (إيميل) والإيميل مما ابتدعته النصارىٰ فما له لم يتنزه عنه) فالكاتب لا يفرِّق بين ما هو من خصائصهم وما ليس كذلك.

ولما كان الكثير مما كتبه الكاتب في مسائل تتعلق بما ذكرته مما يحدث من الغلو في النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أيام وأماكن بدعة المولد وهذا جانب (تابع) في ما كتبته، ولم تكن كتابة الكاتب في ما أوردته من أدلة في بيان بدعية المولد (وهذا هو الأصل) في ما كتبتُ؛ رأيت أن أرفق الوقفات الأربع الأولىٰ ليتبيَّن للقراء لماذا أهملها الكاتب وأعرض عنها صفحًا، في منهجية ضعيفة تزعم الرد والتجهيل وهي تعرض عن أبرز وآكد وأهم ما قيل:

---

(١) رواه البخاري، في: الأدب المفرد، باب: قول الرجل ما شاء الله وشئت، برقم: (٧٨٣)، والإمام أحمد، في: مسنده، برقم: (١٨٣٩)، وابن ماجه، كتاب: الكفارات، باب: النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، برقم: (٢١١٧)، والنسائي، في: السنن الكبرىٰ، برقم: (١٠٧٥٩)، وابن أبي شيبة، في: مصنفه، برقم: (٢٦٦٩١)، وأبو نعيم، في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٤/ ٩٩)، والبيهقي، في: الأسماء والصفات،برقم: (٢٩٣)، وصححه الألباني، في: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: (١٣٩).

(١)

هذه ثماني وقفات أضعها بين يدي القراء الكرام أجيبُ من خلالها علىٰ سؤال: (لماذا لا نحتفل بالمولد النبوي)؟!، سائلاً الله تعالىٰ أن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

الوقفة الأولىٰ: إنّ من المعلوم أنّ من يحتفل بمولد النَّبي ﷺ يدفعه إلىٰ ذلك محبته للنّبي ﷺ، ورغبته في إظهار هذه المحبة، ولا يخفىٰ أنّ محبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الواجبات العظيمة في الدين، ولما كانت محبته تستلزم اتباعه وطاعته والتأسي به، كان لزامًا علىٰ كل من يحتفل بالمولد النّبوي أن يتأكد ويتحرىٰ من أنّ هذا الاحتفال بالمولد لا يوقعه في مخالفة النَّبي ﷺ وبالتالي لا يناقض محبته التي يرجوها. وهذا الأمر ـ المهم جدًّا ـ يتطلب التجرد التام والبحث برغبة صادقة للوصول إلىٰ النتيجة التي يتحقق بها موافقة الشرع والحصول علىٰ الأجر والثواب.

الوقفة الثانية: من المؤكد جدًّا، والذي لا يختلف فيه اثنان أنّ في عهد النَّبي ﷺ وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم وفي عهد التابعين وحتىٰ سنة ثلاثمائة وخمسين للهجرة لم يوجد أحد لا من العلماء ولا من الحكام ولا حتىٰ من عامة الناس! قال بهذا العمل أو أمر به أو حث عليه أو تكلم به، وإنّ من المعروف في التاريخ ـ أيضًا ـ أنّ أول من أحدث ما يسمىٰ بالمولد النّبوي هم بنو عبيد الذين اشتهروا بالفاطميين وهم أصحاب بدع وتحريف للدين كما سُطّر عنهم ذلك في التاريخ، وبالتالي فهو أمر لم يفعله النَّبي ﷺ ولا صحابته الكرام، وهنا موضع تساؤل مهم! لماذا لم يفعله الصحابة الكرام

ولماذا لم يأمروا به؟! إذا كان هذا الاحتفال يعبِّر عن محبة للنّبي المصطفىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلماذا لم يأمر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! وقد قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1]، أخرجه البخاري ومسلم، وإذا كان هذا الاحتفال مما يُتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ فلماذا لم يفعله الصحابة الكرام، وهم أكثر وأشد الأمة محبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ضربوا الأمثلة العظيمة والرائعة في إثبات محبتهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد من محبة النفس والولد والوالد.

الإجابة التي لا ينبغي أن يختلف عليها اثنان: أن يُقال (لو كان خيرًا لسبقونا إليه). قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَيَقُولُونَ: فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هُوَ بِدْعَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا)[2]، هؤلاء السلف الصالح وعلىٰ رأسهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا يمكننا أن نتصور أنّهم جهلوا خيرًا يُقربهم إلىٰ الله زلفىٰ وعرفناه نحن! وإذا قلنا إنّهم عرفوا كما عرفنا؛ فإنّنا لا نستطيع أن نتصور أبدًا أنّهم أهملوا هذا الخير.

الوقفة الثالثة: هناك آيات وأحاديث كثيرة تبيِّن أنّ الإسلام قد كَمُلَ، وهذه حقيقة يعرفها العالم والجاهل والأمّي وغيرهم، وقد قال الله تعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان، برقم: (١٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان علىٰ من لم يحبه هذه المحبة، برقم: (٤٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٢٥٦).

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1]، وقد سبق بيان أنّ هذا المولد لم يكن في زمان الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ – وعلىٰ هذا فنقول –: إنّ هذا المولد إن كان خيرًا فهو من الإسلام، وإن لم يكن خيرًا فليس من الإسلام؟ ويوم أُنزلت هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ لم يكن هناك احتفال بالمولد النّبوي؛ فهل يكون دينًا يا ترىٰ؟! فالمولد إذا كان من الخير فهو من الإسلام، وإذا لم يكن من الخير فليس من الإسلام، وإذا اتفقنا أنّ هذا الاحتفال بالمولد لم يكن حين أُنزلت الآية السابقة؛ فبديهي جدًّا أنّه ليس من الإسلام، ومما يؤكد هذا المعنىٰ قول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الذي أورده الشاطبي في كتابه الاعتصام: (مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ)، ثم قال: (لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا)[2]. انتهىٰ كلامه، متىٰ قال الإمام مالك هذا الكلام؟! في القرن الثاني من الهجرة، أحد القرون المشهود لها بالخيرية! فما بالنا بالقرن الخامس عشر؟! ولنتأمل - مرة أخرىٰ - قوله: "فما لم يكن يومئذٍ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا". اليوم الاحتفال بالمولد النّبوي (دين)، ولا نحتاج إلىٰ إثبات ذلك بالأدلة، فهي من أوضح الواضحات، فكيف يكون هذا من الدين ولم يكن في عهد الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين ولا في عهد أتباع التابعين؟!

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) (الصفحات: ٦٥، ٤٩٤، ٥٤٧).

الوقفة الرابعة: إذا كان الاحتفال بالمولد النّبوي بهذا الشأن فإنّه يدخل ضمن البدع التي نهى عنها الشرع، قال الحافظ ابن رجب: (فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالدِّيْنُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَسَائِلُ الِاعْتِقَادَاتِ، أَوِ الْأَعْمَالُ، أَوِ الْأَقْوَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ)[1].

والوقوع في البدع من الخطورة بمكان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[2]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[3] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[4] رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[5]، هذه النصوص وغيرها مما تدفع المسلم لأن ينتبه لأمره، ويخاف

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٢/ ١٢٨).

(٢) سورة النساء: الآية ١١٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: (٨٦٧)، من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي، أبواب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: (٢٦٧٧)، وابن ماجه، في: افتتاح الكتاب، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم: (٤٢)، والحاكم، كتاب: العلم، برقم: (٣٢٩)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني، في: مشكاة المصابيح، برقم: (١٦٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب: الحدود، نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، باب: برقم: (١٧١٨).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الحدود، نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، باب: برقم: (١٧١٨).

من الوقوع في مخالفة هدي النَّبي ﷺ، وأن يحرص على التزام سنته ولا يعارضها بتقليد أو هوى أو تعصب لرأي أو طريقة أو غير ذلك، فإنّ الله تعالى قد حذرنا جميعًا من مخالفة سُنة النَّبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

هذه هي الوقفات الأربع الأولى وأما الوقفات الأربع الثانية في مقالي (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد) والتي علّق على بعضها الكاتب فأوردها أيضًا إتمامًا للفائدة وهي:

الوقفة الخامسة: أنّ هذا المولد فيه مشابهة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ وقد نهينا عن التشبه، قال النَّبي ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[2] رواه أبو داود والنسائي وابن حبان ومخالفة الكفار فيما اختصوا به من الأصول المهمة في دين الإسلام.

الوقفة السادسة: إنّ فاعل هذا المولد واقع فيما نهى النَّبي ﷺ أمّته صراحةً عنه، فقد قال ﷺ: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[3] رواه البخاري، وفي رواية للإمام أحمد في المسند: «**وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»[4]، فقد نهى عن تجاوز الحد في إطرائه ومدحه، وبيّن أنّ هذا مما وقع فيه

---

(١) سورة النور: الآية ٦٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: اللباس، باب: في لباس الشهرة، برقم: (٤٠٣١)، وصححه الألباني، في: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (٦١٤٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ برقم: (٣٤٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد، في: مسنده، برقم: (١٢٥٥١)، وصححه الألباني، في: سلسلة الأحاديث =

النصارىٰ وكان سبب انحرافهم.

وما يفعل الآن من الموالد من أبرز مظاهر الإطراء، وما تشتمل عليه أبيات كثير من المدائح أوضح دليل علىٰ الوقوع في هذا الغلو - والعياذ بالله - مثل قول البرعي في ديوان رياض الجنة[1] واصفًا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله:

نجّىٰ لنوح من مياهو وإبراهيم من لظاهو

جدو إسماعيل فداهو وبيه أيوب نال شفاهو

ومثل القيام لزعم حضوره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي يردده الختمية (مرحبًا يا مصطفىٰ يا مسهلا)، ومثل الأبيات التي ينادىٰ فيها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفي المريض ويغيث المكروب، كقول البرعي في ديوانه[2]:

أغثني يا رسول الله إني مريض الجسم ذو قلب سقيم

وقوله أيضًا[3]:

إليك رسول الله أشكو مصائبًا يضيق لها صدر الحليم المصابر

وترديد أبيات البردة[4]:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

= الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: (١٠٩٧)، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة سيد هوازن ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق، قصيدة شددت رحال عزمي ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق، قصيدة مهبط الوحي ص١٩.

(٤) المصدر السابق، قصيدة البردة للبوصيري ص ٢٢.

فإن من جودك الدنيا وضرّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقول بعضهم[1]:

نور الهدىٰ قد بدا في العرب والعجم سعد السعود علا في الحل والحرم

بمولد المصطفىٰ أصل الوجود ومن لولاه لم تخرج الأكوان من عدم

والأبيات التي يوصف فيها النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّ الدنيا خلقت لأجله، وأنّ الكون خلق من نوره، وأنّ آدم عليه السلام توسل به، ولولا النَّبي لم يُخلق آدم ولا تعلم ولم تخلق الجنّة ولا النّار! قال البرعي في ديوان رياض الجنّة[2]:

توسل للمولىٰ بجاهه آدم فتاب عليه جابرًا للخواطر

ولولاه لم يُخلق ولم يك عالمًا بأسماء كل الكائنات الظواهر

ولم تسجد الأملاك بل لا ولم يكن له الله في الذكر الحكيم بذاكر

ولولاه لا نار ولم تك جنّة وما الله للأكوان كلًا بفاطر

وغير ذلك من أنواع الغلو الذي لا يرضاه النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حذر أمّته من رفعه فوق منزلته، وإعطائه خصائص الربوبية، ونهىٰ من قال له: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**» فقال: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[3] رواه البخاري

(١) القائل هو: أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي.

(٢) ديوان رياض الجنة، قصيدة مهبط الوحي ص ١٨.

(٣) رواه البخاري، في الأدب المفرد، باب: قول الرجل ما شاء الله وشئت، برقم: (٧٨٣)، والإمام أحمد، في: مسنده، برقم: (١٨٣٩)، وابن ماجه، كتاب: الكفارات، باب: النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، برقم: (٢١١٧)، والنسائي، في: السنن الكبرىٰ، برقم: (١٠٧٥٩)، وابن أبي شيبة، في: مصنفه، برقم: (٢٦٦٩١)، وأبو نعيم، في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٤/ ٩٩)،

في الأدب المفرد والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

الوقفة السابعة: إنّ مما يجهله كثيرون ممن يحتفلون بالمولد أنّ ولادة النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول **(أمر مختلف فيه)** وهناك أقوال عديدة، بل بعضهم رجَّح أنّ ولادته كانت في اليوم التاسع من شهر ربيع، وأمّا المتفق عليه: فهو أنّ النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وعليه فإنّ الاحتفال بمظاهره الموجودة الآن والزينات والترانيم والمدائح وغيرها في هذا اليوم ممّا يقدح في محبة النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ!

قال ابن الحاج المالكي في كتابه المدخل: (ثُمَّ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ كَيْفَ يَعْمَلُونَ الْمَوْلِدَ بِالْمَغَانِي وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ كَمَا تَقَدَّمَ لِأَجْلِ مَوْلِدِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ وَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيهِ انْتَقَلَ إلَىٰ كَرَامَةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ وَفُجِعَتْ الْأُمَّةُ فِيهِ وَأُصِيبَتْ بِمُصَابٍ عَظِيمٍ لَا يَعْدِلُ ذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ الْمَصَائِبِ أَبَدًا فَعَلَىٰ هَذَا كَانَ يَتَعَيَّنُ الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ الْكَثِيرُ وَانْفِرَادُ كُلِّ إنْسَانٍ بِنَفْسِهِ لِمَا أُصِيبَ بِهِ)[1] انتهىٰ.

قلتُ: لم يقم صحابته لا بالاحتفال ولا بالحزن «ولو كان فيهما أو في أحدهما خيرًا لسبقونا إليه».

الوقفة الثامنة: لا يخفىٰ أنّ ساحات المولد تشتمل علىٰ كثير من المنكرات،

والبيهقي، في: الأسماء والصفات، برقم: (٢٩٣)، وصححه الألباني، في: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: (١٣٩).

(١) (٢/ ١٥).

وذلك مما يوجب سخط رب الأرض والسموات، والتي منها: الاختلاط بين الرجال والنساء والشباب والفتيات، حتىٰ أصبح هذا من العرف السائد المنتشر! لا سيما في ليلة الثاني عشر في تلك الساحات، فأيّ تلاعب بالدين أعظم من ذلك؟! بل وصل الحال في بعض البلدان إلىٰ شرب الخمور ورقص النساء! ومن المنكرات: المجاهرة بهذا التفرق والتحزب وكثرة الطرق واختلاف الرايات والشعارات، وكل هذا مما يخالف دين الله تعالىٰ، والواجب أن يكون المسلمون جماعة واحدة مجتمعة علىٰ الحق، وطريقة واحدة ليست طرقًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[1] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2] ومن تلك المنكرات الإسراف في إنفاق المال وإضاعته وقد نُهينا عن إضاعة المال، وغير ذلك مما أجاد وصفه الشيخ القاضي بالمحاكم الشرعية سابقًا محمد الأمين القرشي في قصيدته[3] التي قال فيها:

مسارح للظباء خرجن فيها ... مراتع للخلاعة والخمول

وشبان يرنحهم غرام ... بكاسات الصبا قبل الشمول

يؤمون المكان بلا حياء ... وما أهوىٰ الجميلة للجميل

يطوف بها علىٰ الحلقات حتىٰ ... يخادعها فتخدع بالمثول

عهود أبرمت ووثيق عهد ... ينفذ حكمه بعد الوصول

(١) سورة الجن: الآية ١٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٣) قصيدة في ذم بدعة المولد لمحمد الأمين القرشي قاضي سابق بالسودان، لي تعليق علىٰ قصيدته وتعريف موجز به منشور في مقال علىٰ الرابط: https://arifalrikaby.com/?p=796.

أفي عيد النبي يكون هذا	ويشهده ذوو الرأي الأصيل؟!
وتفعله المدائن كل عام	وتحسبه سيحظىٰ بالقبول؟!
مصائب في بني الإسلام حلت	وفاجعة تجلّ عن المثيل
وجرح في فؤاد الدين يدمي	أصيب به من الصاري الطويل
فهل يرضىٰ الرسول بما فعلنا	وقد جئنا بمعصية الرسول؟!
ويعجبه السكوت علىٰ ضلال	تعاظم خطبه في كل جيل؟!

هذه الوقفات وغيرها مما يبيّن بجلاء ووضوح أنّ هذا الاحتفال من البدع المحرَّمة التي يجب علىٰ الناس أن يبتعدوا عنها، وعليهم أن يجتهدوا في الأعمال الصالحة التي ثبتت بأدلة الكتاب والسّنة، وليسعنا ما وسع الأوائل.



(٢)

المقالان اللذان نشرهما الكاتب أبو عبيدة في التعليق علىٰ مقاليّ اللذين نشرتهما بعنوان: (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد) تضمَّنا - أي ما كتبه - كلامًا قليلًا في الجانب الأساسي وهو حكم المولد، حيث كان تركيزه وأكثر ما كتبه فيهما في جوانب تابعة، لذا حرصت في الحلقة الماضية وهذه الحلقة لتقديم ما يتعلق بالموضوع الرئيس وأتبعُ بعد ذلك إن شاء الله بقية الموضوعات.

قال الكاتب: (فكيف لا يكون الاحتفال بالمولد في هذا الزمان ضرورة).

قلتُ: هل الكاتب في بيان هذا الحكم مقلِّد أم مجتهد؟! وهل يعلم ماذا تعني الضرورة؟! وما معناها؟! وكيف يكون ضرب النوبات وقراءة الأشعار والقصائد التي بعضها غلو وشرك ورفع الرايات في الساحات ونصب الخيام وتلك الأفعال التي تختم بـ(يوم الزّفَة) وما يحدث فيه من الأخطاء والأخطار الأخلاقية، كيف يكون ذلك ضرورة؟! ما الذي يتحقق في ذلك؟! وما الذي يفوت من ترك تلك الأفعال؟! والكاتب دون أن يشعر أكّد معلومة راسخة وهي أنّ هؤلاء الذين يحتفلون في المولد بالنَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يزهدون فيه في بقية العام! ولو لم يكن الأمر كذلك لما قال الكاتب إنّ عمل المولد ضرورة، فإن كان الأمر نشْر هدي والتعريف بالنَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فما الذي يمنع من نشر ذلك في كل أيام العام؟!

وهذا ما عليه أهل السُّنة، فإنّهم مع النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طيلة أيام العام، بدءًا بالعقيدة والتوحيد وهو أعظم ما اعتنىٰ به النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سواء في العهد المكي أم في المدني وإلىٰ آخر يوم انتقل فيه إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وهو

يحذر من اتخاذ القبور مساجد، ومن جعْل القبور عيدًا، ومن البناء علىٰ القبور وهذا الذي ينهىٰ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - للأسف الشديد - هو من أكبر شعارات الصوفية ومحل عنايتهم.

إنّ أهل السُنة مع النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كل الأيام والشهور وشعارهم قول النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّد»[1]، معه في هديه وفي أخلاقه وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي صلاته وفي لباسه وما أمر به من لباس المؤمنات وفي بيعه وشرائه وسائر أحواله.

فقول الكاتب إنّ الاحتفال بالمولد ضرورة قول مردود يؤكد به مدىٰ اهتمام المتصوفة بالهدي النّبوي واقتدائهم به.

وقال: (يجب أن ينظر العلماء إلىٰ المولد النّبوي من ناحية المعنىٰ والمضمون والهدف والنتيجة (المؤمن كيس فطن)).

قلتُ: بل يجب أن ينظر العلماء إلىٰ المولد نظر اتِّباع لا ابتداع ونظر سُنَّة لا بدعة ونظر طاعة لا إضاعة، فنحن نتبع الوحي ونسير علىٰ طريقه، وقد أُمرنا بالسير علىٰ طريقته وعدم الإحداث والابتداع والاستدراك علىٰ الشرع، وقد حذر النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من التبديل والتغيير والإحداث والتشريع بما لم يشرعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومما قال في ذلك: «**وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**»[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: (٨٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري=

وأما قوله ناحية المضمون والهدف والنتيجة فيكفي في ذلك ما آل إليه دعوىٰ تعظيم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من غير استقامة علىٰ شريعته فتخرَّج لنا من ذلك ما يقدم في قناة ساهور من نساء في كامل زينتهن وفي مناظر مؤذية ومعهن الرجال وبالموسيقىٰ فينشدون قصائد الصوفية والناس بعضهم يطربون وأكثرهم ينكرون لكن دون أن تتوقف المهزلة! وخرَّجت لنا دعوة: الهدف والنتيجة شيخ البيبسي وما نُشر في الصحف بشأن مَن حوله من المتبرجات والطريقة التي يقدم بها ما يدعون أنّه ذكر لله تعالىٰ وتعظيم للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأذية الناس العامة والخاصة من ذلك، فهذه هي النتائج لترك ضوابط الشريعة والسير خلف الشعارات دون التقيد بالوحي الذي لا يجوز تعدِّيه في أمر العبادات وكما قال الصحابة:(كُلُّ عِبَادَةٍ لَمْ يَتَعَبَّدْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَا تَعَبَّدُوهَا)[1].

قال الكاتب: (نحن نواجه حملة إعلامية وفكرية يستهدف فيها أعداء الدين ذات المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأخلاقه وأفكاره في فضاء الإعلام الواسع، ولا تختلف الوقفات التي وقفتها كثيرًا عن ما يفعله أعداء الإسلام من إساءة للدين ولعلماء المسلمين حيث إنّها في نظري من التخذيل أوهي مما ينشر الإحباط بين أهل الملة).

قلتُ: الحملة الإعلامية نواجهها بالعلم وليس بالبدع، نواجهها بنشر

= رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، واللفظ له.

(١) أورده الطرطوشي، في: الحوادث والبدع، (١٤٩)، والشاطبي، في: الاعتصام، (٦٣٠) عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الكتب والمحاضرات والشمائل المحمَّدية، نواجهها بما كان عليه أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة وإخوانهم، فإنّهم قد نشروا العلم والسُنَّة، فسَّروا الآيات وشرحوا الأحكام وبينوا محاسن الدين ووضحوا مقاصد التشريع، وعرَّفوا الأمم بشمائل النَّبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وخصائصه، وتركوا لنا من ذلك تراثًا عظيمًا ورِثناه من الدواوين والمسانيد والصحاح والكتب العلمية النافعة التي هي من مشكاة النُّبوة فهدىٰ الله بها من يشاء من عباده.

فهل نواجه الحملات الإعلامية في تشويه الإسلام ونبيِّه هل نواجهها بالرقص وضرب النوبات واختلاط الرجال بالنساء والصرع عند الذكر المحدث والغيبة كما يصفها صاحب ديوان رياض الجنّة بقوله عن لحظات الذكر[1]:

لما تعاطاها أهل العلم صاحبهم حال الجـ ـنون فيا ويح الشجي الحاسي

وقال[2]:

وأدام ذكر الله حتىٰ قيل مجـ ـنون وقالوا إنه كالأبله

وقال[3]:

اذكر إلهك بكرة وعشيًّا حتىٰ تخر علىٰ الثرىٰ مغشيًّا

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة فاذكر إلهك رب العرش ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق، قصيدة إن الطريق عبادة ص ١٣٤.

(٣) المصدر السابق، قصيدة اذكر إلهك بكرة وعشية ص ٦٩.

وغير ذلك مما يجب أن يخفىٰ ويختفي من مظاهر الصرع والرقص والغيبوبة التي تسيء للإسلام ولم يكن عليها علماء الإسلام ولم ترد عن الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين ولا غيرهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من إخوانهم أهل العلم، وتلك المظاهر التي يجب أن لا تبرز فإنّها وفي ذلك شهادات واعترافات منشورة مما يفرح بها أعداء الإسلام ويحزن لها الحريصون علىٰ هذا الدين.

وأمَّا ادعاء الكاتب أنّ ما نشرته من بيان حكم المولد هو من التخذيل فهو قول مردود، فإنّ نصرة النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تكون بالعمل بسُنَّته وطاعته والاقتداء به ونشر هدْيِه بين الناس ونصرة دينه وما كان عليه من اعتقاد وما دعا إليه من التوحيد والتمسك بالسُنَّة، وإنّ ردَّ البدع والمحدثات هو من هدْيِ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي كان يردد في خطبة الحاجة: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»[1]، وقد كان إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الذي تشرفت بأن يكون بحثي في الماجستير في تطبيقاته لأصل سدِّ الذرائع كان كثيرًا ما يردد هذا البيت:

وخير أمور الدين ما كان سُنّة وشر الأمور المحدثات البدائع

ألا فليعلم الكاتب أنّ شهادة أنّ محمدًا رسول الله تقتضي: طاعته في ما أمر وتصديقه في ما أخبر والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

و**قال الكاتب:** (بل حتىٰ ابن تيمية قدوة السلفية أجاز المولد واختار هذا الكاتب كلام بن الحاج لشذوذه ولأنّه موافق لهواه).

قلتُ: قول الكاتب إنّ ابن تيمية (أجاز) المولد هو من الخطأ الكبير ومن

(١) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: (٨٦٧).

الافتراء الواضح علىٰ ابن تيمية، ولا أدري هل السبب في وقوع الكاتب في هذه (الفرية) هل هو تقليده للكتاب الذي سمَّاه وبيَّن أخذه منه؟! أم من تلاميذ الشيخ مؤلف الكتاب الذين اختارهم ليُورد لنا منهم ما يتزود به في الرد علىٰ مقاليّ في حكم المولد؟!

قال ابن تيمية: (وَأَمَّا اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غَيْرِ الْمَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ كَبَعْضِ لَيَالِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ الَّتِي يُقَالُ إنَّهَا لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ، أَوْ بَعْضِ لَيَالِي رَجَبٍ، أَوْ ثَامِنَ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ أَوَّلُ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ، أَوْ ثَامِنُ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيه الْجُهَّالُ «عِيدُ الْأَبْرَار»، فَإِنَّهَا مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا)[1] الفتاوىٰ الكبرىٰ (٤/ ٤١٤)، وقال: (لَكِنَّ اتِّخَاذَهُ عَادَةً دَائِرَةً بِدَوَرَانِ الْأَوْقَاتِ مَكْرُوهٌ لِمَا فِيهِ مِنْ تَغْيِيرِ الشَّرِيعَةِ وَتَشْبِيهِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ بِالْمَشْرُوعِ. وَلَوْ سَاغَ ذَلِكَ لَسَاغَ أَنْ يَعْمَلَ صَلَاةً أُخْرَىٰ وَقْتَ الضُّحَىٰ أَوْ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ أَوْ تَرَاوِيحَ فِي شَعْبَانَ أَوْ أَذَانًا فِي الْعِيدَيْنِ أَوْ حَجًّا إلَىٰ الصَّخْرَةِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهَذَا تَغْيِيرٌ لِدِينِ اللهِ وَتَبْدِيلٌ لَهُ. وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي لَيْلَةِ الْمَوْلِدِ وَغَيْرِهَا. وَالْبِدَعُ الْمَكْرُوهَةُ مَا لَمْ تَكُنْ مُسْتَحَبَّةً فِي الشَّرِيعَةِ وَهِيَ أَنْ يُشَرِّعَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا دِينًا وَقُرْبَةً بِلَا شَرْعٍ مِنْ اللهِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ)[2] مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ١٣٣).

هذا مما قاله ابن تيمية في حكم الاحتفال بالمولد، ويبدو أنّ الكاتب وقع في هذه الفرية بادِّعاء أنّ ابن تيمية يجيز هذه البدعة بسبب نقل آخر في مسألة القصد لبعض من يجهل الحكم وذلك أمر آخر غير إجازة البدعة.

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، (٤/ ٤١٤)، مجموع الفتاوىٰ، (٢٥/ ٢٩٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ: (٢٣/ ١٣٣).

(٣)

وقال الكاتب: (لأنّ الإطراء يختلف تمامًا عن المدح وعن تذكر يوم ميلاده وبيان سيرته وفضائله. فإنّ الإطراء في اللغة: هو مجاوزة الحد في المدح بشيء ليس في الممدوح وقد بيّنه النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في هذا الحديث وإنّه كما فعلته النصارىٰ والنصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله وجعلوه مساوٍ له في درجة الألوهية كما هو معلوم، وأمّا المسلمون فبحمد الله لم يبلغوا ذلك).

قلتُ: وكثير من المدح الذي يُمدحُ به النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيه من الغلو ومن الإطراء ما هو معلوم غير مجهول، وقد حصل من كثيرين في هذه الأمّة أن فعلوا ما فعله النصارىٰ في نبي الله عيسىٰ عليه السلام، والكاتب يريد أن يُبرئ المدائح المشتهرة والتي وقع فيها الإطراء المنهي عنه شرعًا وفيها من الغلو ما لا يجوز وفي بعض تلك القصائد إعطاء للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما هو حق لله تعالىٰ دون حجة أو برهان، وفي مقالي الذي ذكرت فيه ما يحصل في المولد من غلو بيّنت ببيان واضح بضرب أمثلة ونماذج ببعض الأبيات ومن ذلك:

قول البرعي في ديوانه [١]:

أغثني يا رسول الله إني ... مريض الجسم ذو قلب سقيم

وقل لا تخش مهما عشت ضيمًا ... ولا هضمًا أيا عبد الرحيم

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة شددت رحال عزمي ص٤٦.

وقوله أيضًا [١]:

إليك رسول الله أشكو مصائبًا   يضيق لها صدر الحليم المصابر
فأنت رجائي في الخطوب وعمدتي   وأنت ملاذي يوم تبلىٰ سرائري
وأنت لنا غوث وعون وملجأ   وركن ومفتاح لعين البصائر
وأنت لمرضانا شفاء ورحمة   وأنت دليل قد هدىٰ كل حائر

ذكرت بعض هذه الأبيات وأضيف لذلك ما يلي:

قول البرعي أيضًا [٢]:

بلهجبو ديمة ناظر بالحب والتفاني   من كربتي أسعفني من علتي شفاني

وقول البكري[٣]:

ولذ به في كل مرتجىٰ   فإنّه المأمن والمعقل
وناده إن أزمة نشبت   أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق علىٰ ربه   وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة   فرجت كربًا بعضه يعضل
فبالذي خصّك بين الورىٰ   برتبة عنها العلا تنزل
عجّل بإذهاب الذي أشتكي   فإن توقفت فمن أسأل

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة مهبط الوحي ص١٩.

(٢) قصيدة ضماني ص٢٦٤.

(٣) من قصيدة مشهورة لمحمد بن أبي الحسن البكري المصري.

وغير ذلك ممّا لا يُحصىٰ إلا بكلفة مما هو في منثور ومنظوم كثير من الناس، وللمتصوفة نصيب كثير في ذلك، من الغلو وتجاوز الحد في مدح النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا هو الإطراء المنهي عنه، وقد كان النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حريصًا علىٰ أن يُحذّر من الشرك بالله تعالىٰ ومن الوقوع فيه سواء بالغلو فيه أو في غيره، وبيّن كما بيّن جميع رسل الله وأنبيائه أنّ العبادة حق لله تعالىٰ، فالذي يُدعىٰ لإجابة الدعاء وكشف الضر وإزالة البأس وإجابة المضطر وشفاء المريض هو الله، وهذا هو حق الله تعالىٰ الذي خَلق لأجله الجنّ والإنس والسماوات والأرض والملائكة وسائر المخلوقات.

وهذا الغلو مما يجب أن يحذر منه كل خائف علىٰ نفسه في الدنيا والآخرة، خاصة مع انتشاره ونشر بعض وسائل الإعلام له، ويدفع البعض العاطفة والمحبة للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دون أن يفرّقوا بين حقّ الله تعالىٰ وحقّ خلقه ومنهم أفضل خلقه النَّبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال الكاتب: (وقد كان للنّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراء يمدحونه وينافحون عنه منهم: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير وغيرهم رضي الله عن الجميع وأشعارهم معروفة ولا يحفظ عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه نهاهم عن ذلك ولا حثا في وجوههم التراب).

قلتُ: وأين شعر حسّان وابن رواحة وكعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كثير من مدائح المتصوفة المنتشرة؟! حاشا هؤلاء الصحابة الكرام وحاشا من سار علىٰ الهدي النّبوي واستقام علىٰ التوحيد لله رب العبيد أن يقع في المنهي عنه، فإنّ النَّبي محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ له المكارم والشمائل وقد مدحه الله تعالىٰ

وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] ومدحه ووصفه أصحابه وعلماء الأمة دون أن يجعلوه في منزلة الألوهية، ودون أن يعطوه حقّ الله من إغاثة المكروب وإجابة الملهوف، وأضرب مثالًا لما كان يقوله حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك في قوله:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح و يشهد

وضم الإله اسم النبي إلىٰ اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فهذا مثال لمدح النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وغيره كثير مما نحفظه ونردده في دروسنا ومحاضراتنا، فإنّ نبينا محمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (رسول) فلا يُعصىٰ ولا ينطق عن الهوىٰ وفي نفس الوقت هو (عبد) لا يُعبد من دون الله، ولذلك قال لنا موجهًا محذرًا: «**فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[2].

قال الكاتب: (ثم ذكر الكاتب أشعارًا من المدائح وأنّ فيها نوع من الإطراء ذكر ذلك إما جاهلًا بمعانيها وإما مُدلسًا علىٰ القراء لإيهام الإطراء وكلاهما شنيع).

قلتُ: وما ذكرتُه أعلاه وأمثاله مما لدي من مئات الأبيات التي فيها مثل هذا الغلو والإطراء يؤكد صحة ما أقول ولا يجدي الكاتب هذا الكلام المنثور الإنشائي الذي لا يقوىٰ للدفاع عن ما ذكرتُه.

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾برقم: (٣٤٤٥).

قال الكاتب: (فإنّ القيام والجلوس عند ذكر النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس فيه نص شرعي بالكراهة فضلًا عن أن يكون إطراء وإن كان غير ذلك فعلىٰ الكاتب إقامة الدليل الصحيح. وقد كان السلف يعظمون النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عالم الأمّة ومقتدىٰ الأئمة دينًا وورعًا الإمام تقي الدين السبكىٰ وتابعه علىٰ ذلك مشايخ الإسلام في عصره).

قلتُ: القيام عند ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من المبتدعات في الدين وزعم حضوره تلك الموالد هو من البدع المحدثة ومن الغلو وتجاوز الحد وهو من محرمات الشريعة، ونقدي كان لادِّعاء حضور النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لتلك الأذكار وهو ما أشار إليه القائل بقوله:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل في ما مضىٰ وجرىٰ!!

وهذا فيه ادِّعاء مغفرة الذنوب وهو من الشرك بالله؛ إذ المغفرة من خصائص الألوهية والذي يغفر الذنب هو الله وحده لا شريك له.

فذهب الكاتب يتحدث عن تعظيم الحديث وتوقيره وهذا من (التشتيت) والخروج عن محل النقد، ويتحدث تارة عن الوقوف عند ذكر النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مستدلًا بفعل عالم!! فهل هذا يصح دليلًا لإثبات هذا الأمر وهو القيام عند ذكر اسم النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! مع أنّ موضع النقد هو عقيدة (الحضرة) وذكرتُ مثلًا بالختمية وهي أيضًا عند الطريقة التجانية إذ يضعون قماشًا عصر الجمعة ويَدَّعون حضور النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تلك المجالس! والحضرة عقيدة عليها كثير من المتصوفة وهي لا تخصّ النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقط بل تعدّىٰ بعضهم وجعلها لمشايخهم، ومما قاله صاحب ديوان رياض

الجنّة[1] في حضور النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمدحه:

أوتيت كل الفضل يابن تميم ... ومزية الإجلال والتكريم

بحضور خير المرسلين لمدحكم ... يرويه كل محدث وعليم

وقال عن أحمد البشير[2]:

تبناه خير المرسلين بحضرة ... وقال إبراهيم إني له أبُ

وقال[3]:

ما لاح برق الذاكرين بحضرة ... أو كأسهم مزجت بخير مزاج

وقال[4]:

بإخلاص أعمال لتدخل حضرة ... بها المصطفىٰ العارف الواصل الجيلي

وغير ذلك، مما كُتِبَ نثرًا ونظمًا في هذا الاعتقاد المبتدَع، وهو (الحضرة) ولا يشك في أنّه غلو في النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يدَّعي صحابي أو تابعي أو إمام معتبر في الشريعة حضور النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمجلس التفسير أو الحديث أو الفقه أو غيرها من مجالس العلم، والمتصوفة يدعون حضور النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمجالس الرقص والصياح وضرب النحاس والطار والنوبات!!

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة ابن تميم ص٥١.

(٢) المصدر السابق، قصيدة أحمد الطيب بن البشير ص١١١.

(٣) المصدر السابق، قصيدة قمر السماء ص ١٥٠.

(٤) المصدر السابق، قصيدة عبد القادر الجيلي البغدادي ص ١٠٧.

قال الكاتب: (بل كان السلف يعظمون ذكر الصالحين ناهيك عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي افتتاحية الحلقة القادمة التعليق علىٰ قول الكاتب السابق بيان أنّ القوم يمدحون النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأبيات عابرة وكثير منها يتضمن الغلو والإطراء المنهي عنه! إلا أنّ الجهد الأكبر لديهم والنظم الأكثر في الغلو وصرف حقِّ الله وخصائصه للمخلوقين إنّما هو في مدحهم للشيوخ.



(٤)

قال الكاتب: (بل كان السلف يعظمون ذكر الصالحين ناهيك عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

قلتُ: المعروف إذا ذكر العلماء والأئمة والزُّهاد والعُبّاد وأهل الخير فإنّه يُترحم عليهم ويُدعىٰ لهم بالخير وتُذكر أعمالهم الفاضلة ليقتدي الناس بهم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1]، وقد أشرتُ في الحلقة السابقة إلىٰ غلو المتصوفة في النَّبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حتىٰ أعطىٰ بعضهم حقّ الله تعالىٰ له كإشفاء المريض وإجابة المضطر ومغفرة الذنوب وغير ذلك، وهنا نقطة مهمة بحاجة إلىٰ بيان وهي أن القوم يمدحون النَّبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بأبيات عابرة وكثير منها يتضمن الغلو والإطراء المنهي عنه! إلا أنّ الجهد الأكبر لديهم والنظم الأكثر في الغلو وصرف حقِّ الله وخصائصه للمخلوقين إنّما هو في مدحهم للشيوخ أو مدح الشيوخ لأنفسهم!، فتجد المنثور أو المنظوم في القصائد يبدأ أحيانًا بالثناء علىٰ الله والصلاة والسلام علىٰ رسوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ثم يكون بعد ذلك إعطاء خصائص الألوهية بل الربوبية أحيانًا لأولئك الشيوخ، ومن باب: (البيّنة علىٰ المُدّعِي) فأورد الأبيات التالية:

من نماذج ذلك مما هو منشور في كتب الطريقة البرهانية، مما قاله الدسوقي:

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

يقول الدسوقي في (ديوان ابتسام المدامع طبع الطريقة البرهانية)[1]:

وكل نعيم إنّني منعم به ... هو لي ملك ومن ثم راضع

وكل هدىً في العالمين فإنّه ... هداي ومالي في الوجود منازع

أصور مهما شئت من عدم كما ... أقدر مهما شئت فهو مطاوع

وأفني إذا شئت الأنام بلمعة ... وأحيي بلفظي ما حوته البلائع

وفي البحر لو نادىٰ باسمي حوتُه ... أجبت وإني للمنادين سامع

إلىٰ أن يقول:

وإنّ طباق العرش تحت قوائمي ... ورجلي علىٰ الكرسي ثم ترفع

وبيتي سقف العرش هناك فليكن ... مكاني ومن فيضي خلقت المواضع

وأجري علىٰ اللوح المقادير ما أشا ... وبالقلم الأعلىٰ فكفي بارع

وكل معاش الخليقة تجريه راحتي ... لراحتهم جودًا ولست بصانع

وأمحو لما قد كان في اللوح ثابتًا ... وأثبت إذا وقعت هناك وقائع

ويقول محمد عثمان عبده البرهاني في (ديوان شراب الوصل)[2]:

أجود علىٰ أم لترحم طفلها ... فرحمة من في الكون من بعض رحمتي

وأنفخ في روع المريد فينتقي ... جواهر علم الأولين بنفختي

---

(١) ص ٢٩٥ -٢٩٧.

(٢) ص٣.

ويقول محمد عثمان عبده البرهاني في ديوان شراب الوصل ص٤٥:

وأحصيت أنفاس الخلائق كلها والكل عندي شاهق وزفير

ويقول أيضًا في ديوان شراب الوصل ص٢١٨:

إذا ما الأمر كان علىٰ رضانا يكون كلامنا كافًا ونونا

ويقول أيضًا في ديوان شراب الوصل ص ٤:

ولي كتب الأسرار أشهد ما بها وإنّي عبد والعباد رعيتي

وإنّ علوم الله في اللوح كلها أطالعها من باب قوس الحظيرة

ويقول الدسوقي (ديوان ابتسام المدامع ص٢٧٨، جوهرة الدسوقي ص٣٨٩:

أنا العرش والكرسي واللوح والقلم أنا الخمرة الصهباء لمن كان شارب

أنا الحب والمحبوب والكأس دائر وإنّي ولي التصريف أنت المخاطب

ولننظر ادِّعاءه: (وإنّي ولي التصريف)

ويقول أيضًا كما في (ديوان ابتسام المدامع)[1]:

ملكت بلاد الله شرقًا وغربًا ولو شئت أهلكت الأنام بلحظة

ويقول في نفس الصفحة:

مريدي لك البشرىٰ إذا قمت بالوفا إذا كنت في هم أغثك بهمتي

(١) ص٢٧٩.

ويقول[1]:

تملكت تصريف البلاد بأسرها حلفت وبالكرسي أجليت نائبي

ويقول[2]:

وشاهدت ما فوق السماوات كلها كذا العرش والكرسي في طي قبضتي

وكل بلاد الله ملكي حقيقة وأقطابها من تحت حكمي وطاعتي

ومن نماذج ذلك مما ورد في كتب الطريقة الختيمة، فقد عرفوا بأنفسهم في كتاب الأنوار وشرح التوسل بأسماء الله الحسني[3] بقولهم:

يا معشر الخلق من جنٍّ ومن بشر هل تنكروا فضلنا أم تجحدوا قدرنا

نحن الملوك وكل الملك أجمعه أعلاه وأسفله في طي قبضتنا

والأنبياء وجميع الرسل قاطبة من رشح نور بدا من ذات واردنا

وجود آدم منا كان منشؤه جمال يوسف من أنوار بهجتنا

طوفان نوح لولا تداركنا لأهلك الخلق إجمالًا وحرمتنا

نار الخليل خبت من ريق تفلتنا ونار موسىٰ أضاءت من محاسننا

أيوب لما دعانا عند بلوته أجابه الله إجلالًا لدعوتنا

نحن المراغنة الأخيار من قدم الختم منا وغوث الكون خادمنا

(١) ص٢٨٣.

(٢) ص٢٨٥.

(٣) ص٢٢٨.

ومن نماذج ذلك مما ورد في ديوان «جامع الشطحات» لإسماعيل الولي شيخ الطريقة الإسماعيلية حيث قال في بداية هذا الديوان[1]:

أنا القطب من قد جاءني أعظم الندا ... بأنّك فرد الوقت نور الدجنة

ولو أنّ من سري علىٰ جبل بدا ... لذاب ودك اليوم أعظم دكة

ولو قطرة منه علىٰ النار قد بدت ... لقد أخمدتها شعلة بعد شعلة

أنا من رحيق السر أسقيت شربة ... بها صار أهل العصر كلًا رعيتي

وحكمت فيها جملة وملكتها ... ودقت طبولي حيث شاعت سيادتي

وإنّي حكمي في العوالم دائر ... وصار جميع الكون في طي قبضتي

ولو أنّني خاطبت بالسر ميتًا ... لخاطبني حالًا بأحلىٰ مقالتي

وكل خشاش الأرض يعرفني بلا ... توسط شخص بل وهم تحت طاعتي

إلىٰ قوله:

وألبسني مولاي حلة قهره ... وأيدني دنيا وأخرىٰ لصولتي

وخيرني في الكون مهما أشأ يكن ... فلا أحد غيري يفوز بخلعتي

إلىٰ قوله:

أنا من أراني الله بفضله ... مقامات أصحابي جميعًا بجنّة

وقد قال لي انظر هل لك الآن صاحب ... له منزل في النار يا ذا الهداية

---

(١) ص٣.

وشاهدتها حالًا ولم أُلف منزلًا لأصحابنا فيها وبؤت بفرحتي

فمن جاءني بالصدق أقبله وإن به كل وزر لا يبوء بخيبة

إلىٰ قوله:

أيا صاحب ابشر بي فإنّي حاضر إليك إذا ناديت في كل شدة

ومهما ترمني في النوائب كلها فنادي بيا اسماعيل كشف المهمة

ومن نماذج ذلك من إحدىٰ القصائد المشتهرة في وسائل الإعلام وهي قصيدة (التمساح)[1] فقد ابتدأت بِـ: يا رحمان ارحم بي جودك، لكن بعدها جاءت الاستغاثة في (الكرب) للأموات، والذي منه قوله:

شي لله يا ذات التجلي صاحب السر والفتح الكلي

يا الغوث البي الكون (متولي التصريف) هيلك عجلي

وينكم لي وينكم يا كُمَل (يا لُحّاق) فيكم بتأمل

يا الفوت البي الكون اتحمل عرض الدار راح (يتهمل)

شي لله يا حسن البصري صهيب الروم ذا النون المصري

يا الدباغ يا أبوسرًا يسري يا ابن المحجوب الناس متحسري

يا ياسين يا ود حميدة يا أهل القبة الباقية فريدة

انتو ما أبطيتو أكيدة ما بتغلبكم هذي الصيدة

(١) ديوان حاج الماحي.

ومن النماذج ما ذكره البرعي عن أبيه بقوله[1]:

يـرىٰ بالغيـب مـا يخفـىٰ علينـا ... ويسمع صيحة القاصي المكلم

ألا يـا مـن تريـد الوصـل شـمر ... وقـف بالبـاب صامـت لا تكلـم

وادخـل بالخضـوع بغيـر كـبر ... وعنـد مقامـه ابـرك وسـلم

لتحظـىٰ بالفيوضـات العوالـي ... عيانًـا وبعضهـا في النـوم يحلِّـم

وأما المنثور فهو كثير جدًّا وحسبك بكتاب طبقات ود ضيف الله لترىٰ ما كتب فيه من تصرف الشيوخ في الكون ولتقرأ زعم الشيخ خوجلي أنّه نازع ملك الموت في روح فاطمة بنت عبيد فتركها له ملك الموت وذهب[2].

ولك أن تطالع كتاب (أزاهير الرياض)[3] لعبد المحمود نور الدائم يقول: (من حصل به هم فليقل يا أحمد الطيب يا أحمد البدوي فلا يرىٰ همًّا بعد هذا).

وتقرأ في نفس الكتاب[4] ما يلي:

أنـا لمريـدي جامـع لشـتاته ... وأخرجـه مـن كل شـر وفتنـة

تمسـك بنـا في كل هـول وشـدة ... أغثـك في الشـدات طـرًا بهمتـي

مريـدي إذا مـا كان شـرقا ومغربًا ... أغثـه إذا مـا صـار في أي بلـدة

---

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة الشيخ المعلم، ص ١٩٧.

(٢) ص ٧٤ - ٧٩.

(٣) ص ١٥٥.

(٤) أزاهير الرياض ص ١٢٧.

وقال[١]: (ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الزينبي قال: لما ضعف ولده وأشرف علىٰ الموت حضر عزرائيل لقبض روحه فقال الشيخ للملك: ارجع إلىٰ ربك فراجعه فإنّ الأمر قد نسخ، فرجع عزرائيل ولم يقبض...).

وقال[٢]: (إنّ سريّة الشيخ أحمد الطيب البشير التي أهداها إليه الشيخ ناصر ولد أبي الكيلك، لما توفيت ودفنت كان الشيخ جالسًا علىٰ شفير قبرها فلما حضر الملكان زعق بهم الشيخ زعقة عالية ثم قال: يأبىٰ الله ورسوله أن يفتن أو يعذب جسمًا التصق بجسدي، فسئل عن ذلك فقال إن الملكين أرادا أن يفتناها فنحيتهما عنها....).

وفي نفس الكتاب[٣] ذكر أنّ من رأىٰ (سُرَّة) الشيخ لم يدخل النار.

وقال[٤]: (وكان الولي الصالح الزاهد الفقيه الأمين ولد دفين أبي عشر قد سمع رجلًا بحضرته يقول: زيارة سيدي الشيخ الطيب هي الحجّ الأصغر فقال له: ليس كما قلت بل زيارته الحج الأكبرّ، هكذا سمعته من شيخنا).

وغير ذلك من الغلو في الشيوخ وإعطائهم حق الله تعالىٰ وحده وهو للأسف مطبوع في الكتب ومنشور في الآفاق، فالمسألة ليست تعظيم للصالحين كما أراد أن يوهم الكاتب وإنّما هي عبادة وتعدِّي علىٰ حقّ الله

(١) ص ١٥٦.

(٢) ص ٥٦.

(٣) ص ١٨٣.

(٤) ص ٧٤.

وإعطائه لمخلوقين ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن غيرهم، وهو - لمن علم - أكبر جريمة تقع علىٰ أرض الله.



(٥)

توقفت عن مواصلة التعقيب علىٰ الحلقتين اللتين كتبهما أبو عبيدة عمر في الرد علىٰ مقالي (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد)، حيث لم أنهي التعليق علىٰ أكثر ما ذكره، فتوقفت بسبب نشره لحلقتين أخرتين لأستأنف التعليق، وقد أسهب طويلًا في بعض النقاط المكررة ونثر كلامًا إنشائيًّا وأعاد كثيرًا من الأمور علىٰ غير الطريقة المناسبة في مثل هذه المقالات التي تنشر بالصحف، وسأجتهد للاختصار قدر الإمكان حرصًا علىٰ ما تعودت عليه في مناقشاتي من الاجتهاد لالتزام الموضوعية في الطرح والنقد وحفاظًا علىٰ وقت القراء الثمين، كما سأتجاوز بعض النقاط الجانبية التي يكررها الكاتب كترديده لأصول الفقه الذي هو تخصصي الدقيق وأدرِّسه منذ سنوات طويلة لطلاب البكالوريوس والدراسات العليا بل ساهمت وأسهم في وضع مقررات مراحل الماجستير والدكتوراه في هذا التخصص وأشرف علىٰ الرسائل العلمية فيه، كما لن أتوقف في ما ردده الكاتب وإنكاره من العرف العام المنتشر من لقب دكتور الذي وضع أمام اسمي، ولك أن تعرف مقدار ما يكتب الكاتب عندما تقرأ وفي ذات الوقت وهو يقول عن نفسه ويعرف بها بقوله: (وللعلم أنا ممن يحمل درجات علمية فوق الجامعية التي يصدر بها الكاتب اسمه (يلاحظ أن الكاتب تحول من موضوع علمي إلىٰ شخصنة، حتىٰ وإن كان يحمل درجات علمية فما الذي أدخل هذا المحور في تعليقه علىٰ المقال؟ استعراض؟ أم غيظ؟ أم كبر؟ وهذا النموذج يستفاد منه في الاستدلال علىٰ خروج الخصم من موضع النزاع، وفيه تناقض مع أول كلامه حيث قال: وبما أنّني لست من

أهل العلم بالحديث وعلوم الشريعة رجعت إلىٰ كتاب، هو اعترف بأنه ليس من أهل العلم بالحديث وعلوم الشريعة فما دخل الشهادات والمناصب في نقاش علمي شرعي؟))!!، سأعرض عن هذا ومثيله وعن بعض التفاصيل وسأركز علىٰ القضايا الأهم والعامة في ما نشره في مقالاته الأربعة، فأقول:

قال الكاتب: (فالكاتب جاهل بلغة العرب وقليل الاطلاع فقد بيّن معناه إمام العربية في هذا البلد الأستاذ عبد الله الطيب، وقال: يخطئ بعض الجهلاء ويقول إنّ البوصيري قد كفر بقوله: «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم» حيث لم يدروا أنّ الحادث العمم هو يوم القيامة فإنّ كل الناس يلوذون به يوم القيامة ومعلوم أنّ كل الخلق يلوذون به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ينفرج الكرب إلا به وهذا وارد في أحاديث الصحيحين وغيرهما بالغة حد التواتر من أنكرها كفر كما قال العلماء).

قلتُ: أولًا مع التسليم للبروفيسور عبد الله الطيب: في مكانته العلمية في اللغة العربية والتأريخ إلا أنّ كلامه هنا غير مُسلّم به بل هو خطأ واضح، وهو كغيره بشر يخطئ ويصيب، وقد رثىٰ عبد الله الطيب - قديمًا - مدعي الرسالة الثانية المرتد محمود محمد طه بعد إقامة حد الردة عليه بأبيات طويلة كانت صفحة كاملة نشرت وقتها في إحدىٰ الصحف! فهذا مثال يمكن أن يتضح به للكاتب أنّه لا يسلم لأي توجيه صدر من البروفيسور عبد الله الطيب أو غيره، وقد قال البوصيري في بردته[1]:

ما سامني (الدهر) ضيمًا واستجرت به إلا ونلت جوارًا منه لم يُضم

(١) البردة ص ١٤.

فهنا كلام البوصيري في ما يمسه في الدنيا وليس في الآخرة!

وماذا يقول الكاتب في غير ذلك من أبيات قصيدة (البردة)؟! وماذا يقول في قصتها وزعم البوصيري مجيء النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إليه وإلقائه بردة وشفائه بعد ذلك من مرض الفالج؟! في دعوىٰ مماثلة لدعوات المتصوفة المتكررة من أنّهم يلتقون بالنَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المنام وأحيانًا في اليقظة ودعواهم أنّه يخبرهم ويأمرهم وينهاهم، وآخر ما وصل إلينا في ذلك فيديو (شيخ خليفة) الذي ادَّعىٰ فيه أنّ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سلَّم عليه وأخبره أنّه يحبّه وقال له (اضمن بضمانتي) وقد رددت عليه الأسبوع الماضي بهذه الصحيفة.

ومن المعلوم أنّ أهل السُنّة في ردهم علىٰ المخالفين يتحرون بصفتين أساسيتين في الرد هما: (العلم والعدل) ومن ذلك أنّهم ينتقدون بدراية فيجمعون المخالفات والأخطاء والضلالات ويفندونها بغير تجزئة أو نظر قاصر كما جاء في الدفاع الضعيف عن بيت البوصيري السابق.

وقد قال البوصيري في بردته[1]:

وكيف تدعو إلىٰ الدنيا ضرورة من لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم

قلتُ: فهل نأخذ بقول الله تعالىٰ في بيان الغاية من الخلق في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[2] والاستثناء بعد النفي في اللغة العربية مفاده (الحصر)، فالغاية من الخلق في خبر الخالق هي لأجل ولمقصد: (عبادة الرب المعبود الخالق)، وأمّا في (تُرهات) المتصوفة بسبب غلوهم

(١) البردة ص٩.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

فالغاية من الخلق: (وجود محمد) عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هكذا في مناقضة جريئة لمحكم القرآن الكريم وأصول الإيمان التي منها الإيمان بالكتب والرسل! بل الأدهىٰ والأمرّ أنّ في قصيدة (البردة)[1] التي يحاول بعض المتصوفة الدفاع عنها قوله:

فاق النبيين في خَلق وفي خُلُق ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

هكذا ادعاء كاذب أنّ الرسل اغترفوا من بحر النَّبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ! وهو من الغلو الفادح والمنكر العظيم، فها هو القرآن يحكي لنا رسالات رسل الله ومبدؤها ودعوتها وأهدافها وغاياتها وأساليبها وأنها ترتكز إلىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[2]، ولم يذكروا لأقوامهم أنّه لولا محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُخلقوا، ولم يُرسلهم الله، كما لم يخبروا أقوامهم بما يدعي الصوفية أنّهم خُلقوا لأجله! بدءًا من نوح حتىٰ عيسىٰ عليهم جميعًا السلام، وعجبي ممن ينشروا أنّهم (أهل القرآن) وفي ذات الوقت لا يقيمون الوزن للقرآن في الاحتكام إليه، بل يأتون - جهرة - بما يناقض القرآن الكريم.

وفي (البردة)[3] الغارقة في الغلو وتزيين الشرك مما حذر منه النَّبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قول البوصيري:

ولا التمست غنىٰ الدارين من يده إلا استلمت الندىٰ من خير مستلم

(١) ص٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٩.

(٣) ص١٤.

فالواجب التماس غنىٰ الدارين من الله تعالىٰ، والرجاء في مثل هذا لا يكون إلا من الله تعالىٰ وحده وطلب الغنىٰ والرزق بأنواعه لا يُطلب إلا من الله تعالىٰ؛ فإنّ الله هو الرزاق؛ والرسل والأنبياء كانوا يرجون الله تعالىٰ كما أنّهم يخافون من عقابه، قال الله تعالىٰ عن صفوة خلقه من الرسل والأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، والنَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعلم أمّته أن تقول بعد كل صلاة مفروضة: «اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[2] فلمّا كانت أهمية هذا المعتقد العظيم بمكان شُرع أن يردده المسلم خمس مرات في كل يوم؛ بل كان يرفع به الصوت عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلّم أمّته شفقةً عليها ما قال لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ووجّهه بقوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[3]، فهذا الالتماس يجب أن يكون من الله تعالىٰ وحده، وبالقصيدة أخطاء كبيرة معلومة تناقض العقيدة الصحيحة، قال العلامة محمد بن علىٰ الشوكاني في كتابه (الدر النضيد): (فانظر رحمك الله تعالىٰ ما وقع من كثير من هذه الأمّة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يقوله صاحب البردة رحمه الله تعالىٰ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به　　　سواك عند حلول الحادث العمم

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الآذان، باب: الذكر بعد الصلاة، برقم: (٨٤٤)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم: (٥٩٣).

(٣) رواه الإمام أحمد، في: مسنده، برقم: (٢٧٦٣)، والترمذي، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: لم يُعنون له، برقم: (٢٥١٦)، وصححه الألباني، في: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (٧٩٥٧).

فانظر كيف نفىٰ كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغفل عن ذكر ربّه وربّ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وهذا باب واسع، قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام حتىٰ ترقوا إلىٰ خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب) إلىٰ قوله: (وقد وقع في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس، ووقع أيضًا لمن تصدىٰ لمدح نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدةٌ فليس المراد إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1])[2]. انتهىٰ.

قلتُ: والعلامة الشوكاني يُنبه إلىٰ جانب مهم وهو: تجاوز المتصوفة غلوهم في مدح النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ (أنفسهم أو شيوخهم) كما بيّنت ذلك في الحلقة الرابعة التي أوردتُ فيها قرابة الستين بيتًا وكلامًا آخر منثورًا في ما نسبه بعض شيوخ المتصوفة إلىٰ أنفسهم أو شيوخهم ممّا لم ينسبوه للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من إدعاء الربوبية والألوهية.

وفي كلا الأمرين اللذين حاول الكاتب نفيهما في أبيات البردة المذكورة التي نسب فيها البوصيري إلىٰ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يجب أن يصرف لله وحده في قوله: (ما لي من ألوذ به سواك) وقوله: (ومن علومك علم اللوح والقلم)، أقولُ: وهذه أيضًا ممّا تجاوز بها شيوخ المتصوفة في غلوهم ونسبوها

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص: ٩٠-٩٢.

لغير النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من شيوخهم أو لأنفسهم (وهذا أمر مقصود بعناية عندهم) وبالمثال يتضح المقال كما يقال: أمّا في (اللوذ) والاستغاثة واللجوء لغير الله تعالىٰ فيقول البرعي[1]:

لـذ بالرجـال العارفيـن بربهـم كالجيلي والبدوي والدقلاشي

والمقتفين علىٰ هدىٰ من ربهم آثارهـم كالتـوم والكباشـي

فهل هذا (اللوذ) يوم القيامة أيضًا أيها الكاتب المسكين؟! فالكاتب بسطحية وسذاجة ولي لعنق الحقيقة الواضحة يقول إنّ هذا (اللوذ) بالنَّبي في قول البوصيري يكون في يوم القيامة وعند الشفاعة العظمىٰ فقط!! وهذا القول منه - أعني عدم اللجوء إلىٰ النَّبي إلا في ذلك المقام - لا يرضاه المتصوفة الذين يدافع عنهم!! وهذا من مجازفات هذا الكاتب في ما نشر مما لا يُعد ولا يُحصىٰ إلا بكلفة، وماذا يقول أيضًا الكاتب وغيره في قول البرعي[2]:

إن نـاب خطـب في البـلاد نزيـل قـل يـا ولـي الله إسـماعيل؟!

وماذا يقولون في قول البرعي[3] - أيضًا:

ألا يـا رجـال الغيـب أنتـم حصوننا فما زال مسبولًا علىٰ الناس ستركم

أيلحقنـي ضيـم وأنتـم حمايتـي وألهث عطشانًا وقد فاض بحركم

فحاشىٰ وحاشىٰ أن تضيع عيالكم وأنتـم عيـال الله والأمـر أمركـم

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة دعمي أصحاب سادتي ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق، قصيدة الشيخ إسماعيل بن عبد الله الولي، ص١١٩.

(٣) المصدر السابق، قصيدة العارفون بالله، ص ١٢٦.

إذا شئتم شاء الإله وإنّكم تشاءون ما قد شاء الله دركم

وأمّا علم الغيب الذي سيأتي التعليق علىٰ ما أورده الكاتب فيه، فهو كذلك (عمّمه) القوم لشيوخهم ولأنفسهم، ومن باب التمثيل فقط نقرأ في ديوان البرعي[1]:

قوماك نزاور الأولياء الأقطاب ليهم نشاور

إلىٰ قوله :

منهم خفي الحال منهم مجاهر منهم عليم بالغيب باطن وظاهر

وقوله[2]:

هم بين باك صارخ متأوه شاك إليه وبين صب قاما

فلهم من المولىٰ ثلاث خصائل نور وإقبال وأجر داما

ولهم به سمع وأبصار بها قد يبصرون اللوح والأقلاما

وقال عن أبيه[3]:

يرىٰ بالغيب ما يخفىٰ علينا ويسمع صيحة القاصي المكلم

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة قوماك نزاور، ص ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، قصيدة قام الرجال لذي الجلال ، ص ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق، قصيدة الشيخ المعلم، ص ١٩٧ .

وقال عنه[1] أيضًا:

وعلمـه الكريـم علـم الحقيقـة   وعلـم الغيب مع علـم المعاهـد

فبطل قول الكاتب وإسهابه الطويل في إيراد أحاديث لم يُحسن فهمها أو بالأصح لم يحسن من (قلّدهم) فهمها لأجل إثبات علم الغيب للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالقوم تجاوزوا النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ أنفسهم وشيوخهم فنسبوا لهم علم ما كان وما يكون ممّا اختصّ الله تعالىٰ به نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾[2].



(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة الشيخ المجاهد، ص١٩٨.

(٢) سورة النمل: الآية ٦٥.

(٦)

بيّنتُ في الحلقة السابقة في سياق التعقيب علىٰ ما أورده الكتاب في إدعاء أنّ (اللوذ) الوارد في قول البوصيري (مالي من ألوذ به سواك) أنّه في الآخرة فقط، بيّنتُ أنّه تأويل ضعيف بالاستدلال ببعض أبيات البردة الأخرىٰ وبيان أنواع أخرىٰ من الغلو فيها، كما وضحتُ في التعقيب علىٰ دعوىٰ الكاتب علم الغيب وعلم اللوح المحفوظ للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بينت أن المتصوفة يثبتون علم الغيب لشيوخهم وبعض الشيوخ يثبته لنفسه فنسبة المتصوفة علم الغيب لشيوخهم هو من المتواتر المبثوث في المنظوم والمنثور في قصائدهم وقد أوردتُ بعض أبيات ديوان رياض الجنَّة في ذلك.

وادِّعاء الكاتب أنّ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلم ما في اللوح المحفوظ هو خطأ كبير وجهل عريض بالنصوص الشرعية واعتقاد منكر، وإلا فماذا يقول الكاتب عن قول الملائكة للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوم القيامة لمّا تردُّ الملائكة المبتدعة من حوضه ويقولون له: «**إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[1]؟! وماذا يقول في قصة الإفك وانتظار النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الوحي[2]؟! وماذا يقول في بيعة الرضوان التي كانت بالحديبية علىٰ أثر خبر أنّ أهل مكة قتلوا ذا النورين عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟![3] وقد ورد في صحيح البخاري من حديث الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٤)، واللفظ له، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، برقم: (٢٢٩٠).

(٢) أوردها البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا، برقم: (٢٦٦١)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم: (٢٧٧٠).

(٣) أوردها البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب

وفيه: «حَتَّىٰ قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»**[1] وفي رواية الترمذي: **«اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ، وَقُولِي الَّتِي كُنْتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا»**[2].

كما ورد في صحيح البخاري - أيضًا - عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»**[3].

وفي البخاري وغيره عن مسروق قال: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[4] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[5]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا

وكتابة الشروط، برقم: (٢٧٣١).

(١) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: لم يُعنون له، برقم: (٤٠٠١).

(٢) رواه الترمذي، أبواب: النكاح، باب: ما جاء في إعلان النكاح، برقم: (١٠٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، برقم: (٧٣٧٩).

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٥) سورة الشورىٰ: الآية ٥١.

تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾[1]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2] الآيَةَ، وَلَكِنَّهُ «رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»[3].

وعلم الغيب الذي يعلّمه الله تعالىٰ لنبيه وأنبيائه هو ما له صلة بتبليغ الوحي قال الله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾[4]، وهذا أمر معلوم وهو في غاية الوضوح وفي القرآن الكريم نقرأ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[5] وقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[6] وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[7] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾، برقم: (٤٨٥٥)، واللفظ له، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، وهل رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه ليلة الإسراء، برقم: (١٧٧).

(٤) سورة الجن: الآية ٢٦-٢٨.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[3] وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾[4].

هذا هو محكم القرآن وتلك هي سُنّة النبي الكريم سيد ولد عدنان في إثبات أنّ الغيب للواحد الرحمن وأنّه يعلِّم من رسله من الغيب ما يبلِّغون به الرسالة وهذا النوع من الأخبار لا يدخلها النسخ كما هو معلوم في شروط النسخ في علم أصول الفقه، ونفي علم الغيب عن أحد من خلق الله هو ما أثبته الله لجميع الرسل والأنبياء فخليل الله إبراهيم لم يعلم أنّ ضيوفه ملائكة فذبح لهم وقرب إليهم الطعام! ونوح أول الرسل لم يعلم أنّ ابنه لم يؤمن! وآدم لم يعلم ما يصيبه من أكل الشجرة فظنه الخلد وملكًا لا يبلىٰ! وسليمان لم يكن يعلم عن ملك بلقيس ومملكة سبأ إلا بخبر الهدهد! وزكريا لم يكن ليعلم أن الله سيرزقه بيحيىٰ السيد الحصور النبي الصالح! والملائكة لم تكن تعلم أسماء ما سألهم الله عنها حتىٰ قالت: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾[5]، والجن أخبر عنهم الله بأنّهم لا يعلمون الغيب وذلك في قصة

(١) سورة يونس: الآية ٢٠.

(٢) سورة هود: الآية ٣١.

(٣) سورة النمل: الآية ٦٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ٣٢.

موت سليمان عليه وعلىٰ جميع الأنبياء السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[1]، ومع هذه النصوص الواضحات التي تبيّن أنّ صفوة الله ورسله وأنبياءه عليهم الصلوات والتسليمات ليس لهم معرفة واطلاع بالمغيبات إلا أنّ بمجتمعنا وغيره كثير من السحرة والدجالين والدجالات وبعض من يسمون شيوخًا يدعون معرفة الغيب وإعطاء الأولاد والذُّريات وتوزيع الأرزاق والأقوات! وهو باب كبير للغش والضحك علىٰ الجاهلين والجاهلات والسُّذج والسّاذجات.

وأمّا ما استدلّ به الكاتب من نصوص لإثبات ذلك فهو لا يصلح للاستدلال فهي أخبار مخصوصة في ما يعلّمه الله تعالىٰ لنبيه لأجل البلاغ وهذا يدخل في باب العموم والخصوص والتخصيص وباب الجمع بين النصوص الذي هو من أهم أبواب علم أصول الفقه، وإلا فأقل الناس علمًا بالنصوص الشرعية يعلم أنّ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يجب عن أسئلة كثيرة فقد سُئل عن الأنفال واليتامىٰ والشهر الحرام والمحيض والمواريث والروح في آيات ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾[2] وغيرها، فانتظر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الوحي، والكاتب ينقل ليبرر قول البوصيري معرفة النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعلم اللوح المحفوظ فأقول: وهل ما لم يعلمه النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ممّا ذكرتُ بعض أمثلته يكون غير مكتوب في اللوح أم ماذا؟!!

وقد بيّنت أنّ المتصوفة أثبتوا علم الغيب للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم تجاوزوا به إلىٰ غيره – كعادتهم – وأوردت نماذج ذلك من ديوان البرعي[3] ومنه قوله:

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٣) ديوان رياض الجنة، قصيدة قام الرجال لذي الجلال ، ص ١٤٦.

ولهـم بـه سـمع وأبصـار بهـا   قـد يبصـرون اللـوح والأقلامـا

فلم يعد اللوح محفوظًا – عياذًا بالله – من مناقضة كلام الله تعالىٰ وخبر رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإدعاء ما هو حقّ خاص للربّ جلّ وعلا.

ولما بيّنتُ ما يقع في المولد من غلو وأوردت أبياتًا للغلو في ديوان (رياض الجنّة) وفيها إدعاء أنّ الدنيا خلقت لأجل النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبيّنتُ أنّ هذا يناقض ما ورد في الغاية من الخلق كتب الكاتب – هداه الله –: (وهذا الذي أنكره الكاتب هو من فرط الجهل ففي «المصنف رقم ١٨» عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن المنكدر أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله عن أول شيء خلقه الله؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر، فحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنا عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم...) إلىٰ آخره.

وهذا من آفات التقليد الأعمىٰ الذي سار عليه الكاتب، فقد قلّد بعض من كتبوا في هذا الأمر من الصوفية وأورد هذا الحديث الذي ادَّعىٰ بعضهم أنّه في مصنف عبد الرزاق، والحديث باطل مكذوب لا يثبُت عن النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وليس في مصنف الإمام عبد الرزاق وليس في تفسيره، وأورد هنا شهادة من المنتسبين للصوفية أنفسهم!! يقول عبد الله بن الصديق الغماري معلقًا علىٰ قول السيوطي في (الحاوي) علىٰ هذا الحديث: (إنّه غير ثابت) (وهو تساهل قبيح بل الحديث ظاهر الوضع، واضح النكارة، وفيه نَفَسٌ صوفي...) إلىٰ أن قال: (والعجب أن السيوطي عزاه إلىٰ عبد الرزاق،

مع أنه لا يوجد في (مصنفه) ولا (تفسيره) ولا (جامعه) وأعجب من هذا أنّ بعض الشناقطة صدَّق هذا العزو المخطئ، فرّكب له إسنادًا من عبد الرزاق إلىٰ جابر، ويعلم الله أنّ هذا كله لا أصل له؛ فجابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بريء من رواية هذا الحديث، وعبد الرزاق لم يسمع به، وأول من شهَّر هذا الحديث ابن عربي الحاتمي..) إلىٰ قوله: (فلا بُدَّ أنّ أحد المتصوفة المتزهدين وضعه، ومثل هذا الحديث ما رُوي من طريق أهل البيت عن علي عليه السلام مرفوعًا: {كنت نورًا بين يدي ربي قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام} وحديث: {لولاك ما خلقت الأفلاك} وكتب المولد النّبوي ملأىٰ بهذه الموضوعات، وأصبحت عقيدة راسخة في أذهان العامة).

إنّها آفة عظيمة ومنكر كبير أن يتصدىٰ مثل هذا الكاتب (المقلّد) و(المحتطب ليلًا) لإيراد مثل هذه الموضوعات ويدافع عن العقائد المنحرفة المناقضة للكتاب والسُنّة، كما قد تصدىٰ أحد مقدمي البرامج التلفزيونية الحالية لإثبات مشروعية المولد وما يحصل فيه بقوله: نحن أفارقة ونحب الرقص،! فما هكذا يكون الإفتاء يا مقدم البرنامج.



(٧)

بيّنتُ في نهاية الحلقة السابقة بالتعقيب علىٰ ما أورده الكاتب بقوله: (وهذا الذي أنكره الكاتب هو من فرط الجهل ففي المصنف رقم «١٨» عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن المنكدر أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألت رسول الله عن أول شيء خلقه الله؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر..........الحديث}، وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم فجميع رواته ثقات احتج بهم البخاري ومسلم، وهو من الأحاديث التي اعتادت الفرق الضالة علىٰ حذفها من كتب الأصول لمخالفته لما يعتقدونه ولما كان جميع رجاله ثقات ومن الأئمة ولا يمكن الطعن في واحد منهم طعنوا في متنه أنّ لفظه فيه ركاكة وهي دعوة كاذبة لا برهان عليها..).

قلتُ: أشرتُ إلىٰ أنّ هذا الحديث يبرأ منه مصنف عبد الرزاق وغيره من كتب الحديث، وقد شهد بعض المتصوفة أنفسهم بأنّه حديث موضوع مكذوب مختلق، وللأسف يبني كثيرون معتقدهم علىٰ مثل هذه الحكايات المنسوبة كذبًا للنّبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ويقررون علىٰ وفقها المعتقدات، ويحاربون أهل الحق ويصفونهم بالجهل! وذلك لعلم أهل الحق بالحق، فبكل بساطة يدَّعي هذا الكاتب جهلي لأنّي انتقدت هذا المعتقد الفاسد وهو النُّور المحمَّدي الذي كان مبدأ الخلق، كما أنّ المؤسف أنّ مثل هذه المعتقدات تناقض آيات القرآن الكريم وأحاديث النَّبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، والنَّبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ليس بحاجة مما يكذبه عليه الكذبة، فإنّه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أفضل الرسل وأحبّ

الخلق إلىٰ الله وأفضل من عبَد الله وخَشِيَه وقد رفع الله ذكره في الدنيا وأعطاه المناقب العظيمة في الآخرة، فهو أول من ينشق قبره عن جمجمته وأول شافع ومشفع، وصاحب المقام المحمود وهو مقام الشفاعة العظمىٰ وصاحب الحوض المورود وله الوسيلة، عليه أفضل الصلاة والسلام، فليس بحاجة إلىٰ أن يُمدح بالمكذوبات والمناكير والقصص الكاذبة وما يناقض الكتاب والسُّنة فإن مبدأ الخلق معلوم، وخلق محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذلك معلوم، ودعوات الأنبياء كذلك معروفة وما دعوا إليه مشهود به في القرآن والسُّنة، فما بال القوم يكذبون ويتحرون الكذب..!

إنّ حديث أوّلية النّور المحمّدي هو ممّا وضعه الغلاة من جهلة المتصوفة المتأخرين، فلم يذكره أهل الحديث المتقدمون ولا حتىٰ الصوفية المتقدمون في كتبهم، ولم يُعرف هذا المتن المنكر المكذوب إلا في القرن السابع وما بعده.

والكاتب (جاهل) بالتراث الصوفي الذي ينتسب إليه كجهله بما كتب أهل السُّنة ممّا يستدلُّون به من الكتاب والسُّنة، بيان ذلك أنّ بعض الصوفية أنكروا هذا الحديث وقد أشرتُ في الحلقة الماضية لذلك، وقد ألّف عبد الله الغماري! في بيان كذب هذا الحديث رسالة كاملة بعنوان: «مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر» وقد قال السيوطي في الحاوي للفتاوي: «لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ»[1]!.

قال الكاتب: (وأمّا توسل آدم عليه السلام بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فثابت في كثير من كتب الأصول وقد رواه الحاكم في المستدرك وصححه لكن في

(١) (١/ ٣٨٦).

إسناده ضعف وأكثر علماء الخصائص والسير قد ذكروه وما أظن الكاتب يجهل ذلك).

قلتُ: الاضطرار يدعُني أن أعلق بموجزات علىٰ ما أورده الكاتب من هذه الحجج (الواهية) (المتهافتة)! فإن غاية ما لديه إتيانه ممن يقلدهم بأحاديث موضوعة مكذوبة وأخرىٰ ضعيفة مردودة، ليروج بها ظلمات البدع المحدثة ليقابل ويغطي بذلك ضوء السُّنة الذي هو كالشمس في وسط النهار، وقد وجدت نفسي - مضطرًا - لبذل جزءٍ من الوقت والجهد وسأجتهد لإكمال التعليق علىٰ بعض ما أورده بإيجاز، وللقارئ أن ينظر في قوله بعد الحديث الذي أورده حيث قال: (لكن في إسناده ضعف وأكثر علماء الخصائص والسير قد ذكروه)!

قلتُ: طالما أنّ الحديث ضعيف، فلماذا تُورِده وتُضيع بذلك وقتي ووقت القارئ الكريم؟! وهل مثل هذا الأمر المكذوب الذي يكرره بعض المتصوفة وهو ادِّعاء (توسل آدم عليه السلام بالنَّبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ) من الأمور السهلة التي تُقرر بمثل هذا التهافت في الطرح المصحوب بخجل شديد من الكاتب بسبب شؤم إيراد مثل هذا النَّص في قضية تناقض المعتقد الصحيح في التوسل، إذ التوسل إلىٰ الله بذات المخلوق أو جاهه من البدع المنكرة المحدثة، وبقية مضمون الحديث تناقض غيرها من النصوص الشرعية الكثيرة.

والحديث المذكور هو المرْوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحقِّ محمد لما غفرت لي فقال:

يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال يا رب لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيتُ علىٰ قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمتُ أنّك لم تضف إلىٰ اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتُك).

قلتُ: الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري: حدثنا إسماعيل بن مسلمة: أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر. وقال الحاكم: (صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب)[1]، فتعقبه الحافظ الذهبي بقوله: (قلت: بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا) قال الألباني: (قلتُ: ومن تناقض الحاكم في (المستدرك) نفسه أنّه أورد فيه حديثا آخر لعبد الرحمن هذا ولم يصححه: بل قال: (والشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد) قلت: والفهري هذا أورده الذهبي في «الميزان» وساق له هذا الحديث وقال: (خبر باطل) وكذا قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» وزاد عليه قوله في الفهري هذا: (لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنّه من طبقته) قلت: والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رُشيد قال الحافظ: ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث يضع علىٰ ليث ومالك وابن لهيعة لا يحل كتْب حديثه وهو الذي روىٰ عن ابن هدية نسخة كأنّها معمولة) قلت: والحديث رواه الطبراني في «المعجم الصغير»: ثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري: ثنا أحمد ابن سعيد المدني الفهري: ثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به. وهذا سند

(١) في: المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، برقم: (٤٢٢٨).

مظلم فإنّ كل من دون عبد الرحمن لا يُعرفون، وقد أشار إلىٰ ذلك الحافظ الهيثمي حيث قال في «مجمع الزوائد»: (رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم).

قلتُ: وهذا إعلال قاصر. يوهِم من لا علم عنده أن ليس فيهم من هو معروف بالطعن فيه وليس كذلك فإنّ مداره علىٰ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال البيهقي: (إنّه تفرد به) وهو متهم بالوضع رماه بذلك الحاكم نفسه ولذلك أنكر العلماء عليه تصحيحه لحديثه ونسبوه إلىٰ الخطأ والتناقض، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: في «القاعدة الجليلة»: (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه فإنّه نفسه قد قال في كتاب «المدخل إلىٰ معرفة الصحيح من السقيم»: (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفىٰ علىٰ من تأملها من أهل الصنعة أنّ الحمل فيها عليه). قلت: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرًا ضعّفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم، وقال ابن حبان: (كان يقلّب الأخبار وهو لا يعلم حتىٰ كثر ذلك).

وقال الألباني أيضًا: (وأمّا تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا ممّا أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إنّ الحاكم يصحح أحاديث موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث. ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون علىٰ مجرد تصحيح الحاكم.

قلتُ: وقد أورد الحاكم نفسه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في كتابه (الضعفاء) كما سمّاه العلامة ابن عبد الهادي وقال في آخره: (فهؤلاء الذين

قدمت ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم لأنّ الجرح لا يثبتُ إلا ببيّنة فهم الذين أُبيّن جرحهم لمن طالبني به فإنّ الجرح لا أستحلّه تقليدًا والذي أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سمّيتهم فالرواي لحديثهم داخل في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»[1].

قلتُ: فمن تأمل في كلام الحاكم هذا والذي قبله يتبيّن له بوضوح أنّ حديث عبد الرحمن بن زيد هذا موضوع عند الحاكم نفسه وأنّ من يرويه بعد العلم بحاله فهو أحد الكاذبين.

وقد اتفق عند التحقيق كلام الحفاظ ابن تيمية والذهبي والعسقلاني علىٰ بطلان هذا الحديث وتبعهم علىٰ ذلك غير واحد من المحققين كالحافظ ابن عبد الهادي كما سيأتي فلا يجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصحح الحديث بعد اتفاق هؤلاء علىٰ وضعه تقليدًا للحاكم في أحد قولَيْه مع اختياره في قوله الآخر لطالب العلم أن لا يكتب حديث عبد الرحمن هذا وأنَّه إن فعل كان أحد الكاذبين) أ.هـ[2]

ثم بيّن الألباني مخالفة هذا الحديث للقرآن الكريم بقوله: (وممّا يؤيد ما ذهب إليه العلماء من وضع هذا الحديث وبطلانه أنّه يخالف القرآن الكريم في موضعين منه: الأول: أنّه تضمن أن الله تعالىٰ غفر لآدم بسبب توسله به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

(١) رواه مسلم، المقدمة، باب: وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكذابين، ص: ٨.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني، (١/ ١٠٣-١٠٧).

ﵟٱلرَّحِيمُ ٣٧ﵞ[1].... الموضع الثاني: قوله في آخره: (ولولا محمد ما خلقتك) فإنّ هذا أمر عظيم يتعلق بالعقائد التي لا تثبُت إلا بنص متواتر اتفاقا أو صحيح عند آخرين ولو كان ذلك صحيحًا لورد في الكتاب أو السُّنة الصحيحة وافتراض صحته في الواقع مع ضياع النّص الذي تقوم به الحُجّة ينافي قوله تبارك وتعالىٰ: ﵟإِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ﵞ[2] والذكر هنا يشمل الشريعة كلها قرآنا وسُنّة كما قرره ابن حزم في «الإحكام» وأيضًا فإنّ الله تبارك وتعالىٰ قد أخبرنا عن الحكمة التي من أجلها خلق آدم وذريته فقال عَزَّوَجَلَّ: ﵟوَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ﵞ[3] فكل ما خالف هذه الحكمة أو زاد عليها لا يُقبل إلا بنص صحيح عن المعصوم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كمخالفة هذا الحديث الباطل. ومثله ما اشتهر علىٰ ألسنة الناس: (لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) فإنّه موضوع كما قال الصنعاني ووافقه الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، ومن الطرائف أنّ المتنبي -(أي مدّعي النبوة) ميرزا غلام أحمد القادياني- سرق هذا الحديث الموضوع فادَّعىٰ أنّ الله خاطبه بقوله: (لولاك لما خلقت الأفلاك) وهذا شيء يعترف به أتباعه القاديانون هنا في دمشق وغيرها. لوروده في كتاب متنبئهم «حقيقة الوحي»)[4] انتهىٰ.

قلتُ: هكذا يبني القوم عقائدهم وشعائرهم علىٰ البدع المحدثة والأحاديث الموضوعة والمكذوبة، وبما ذكرتُه يتأكد قولي في هذا المعتقد

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٤) المرجع السابق، (١/ ١١٣-١١٥).

الفاسد وهو من الغلو في النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وممّا حذّر منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويتأكد كما تأكد في غيره صحة ما قلتُ في نقدي وحذرتُ منه ممّا يُفعل ويُعتقد في بدعة المولد ومن ذلك قول البرعي الخاطئ المنكر المبني علىٰ معتقد يناقض الكتاب والسنة بل هو من الباطل الواجب إنكاره وذلك في أقواله التي منها[1]:

توسل للمولىٰ بجاهه آدم ... فتاب عليه جابرًا للخواطر

ولولاه لم يُخلق ولم يك عالمًا ... بأسماء كل الكائنات الظواهر



(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة مهبط الوحي ص ١٨.

(٨)

قال الكاتب: (فكل هذه الطرق التي في ساحة المولد متفقون علىٰ محبة النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومدحه وتعظيمه وتوقيره ومنهجه) وقال: (بخلاف أصحاب الطرق الصوفية فإنّهم متفقون علىٰ محبة النَّبي ومنهجه كما تقدم فالمنهج واحد وإن تعددت مدارسه).

قلتُ: ليس منهج هذه الطرق واحدًا بل هي كما تُعرِّف بنفسها (طُرُق)، وليست وسائلها واحدة ولا منهاجها ولا أذكارها واحدة، نعم الطرق الصوفية تلتقي في أمور كالاعتناء بالبناء علىٰ قبور الموتىٰ وعمل الأضرحة والتعلق بالشيوخ الأحياء والأموات، والتبرك بهم ودعاؤهم من دون الله مما يناقض العقيدة التي جاءت في الكتاب والسُّنة ودعا إليها جميع الأنبياء، ويتفقون علىٰ مبدأ (توريث) الوَلاية وإعطائها لأولاد الشيوخ وأحفادهم، والاستسلام للشيوخ والاستغاثة بهم من دون الله وقد قال البرعي[(١)]:

أستاذك يا فقير ... كون عندو ذليل حقير

كون ليه قريب وجار ... له أخدم غير إجار

كن ثابت عندهو ... لا تضحك عندهو

في كربك أندهو ... بتغيثك جندهو

سيب غيرو وليه روح ... قبال تفنىٰ وتروح

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة أهل الوصال ص٣١٢ – ٣١٣.

سـلم لـو وكـن طـروح   كالجسـد المـافي روح

وتتفق في غير ذلك، ولكن تختلف هذه الطرق في أمور كثيرة كوسائل كسب المريدين، وترويج الطريقة، وتختلف في الوعد الذي يُوعَد به المريدون، فشيخ يُبشِّر أتباعه بأنّه يضمن لهم الجنة! وآخر يبشّرهم بأنّه يثبتهم عند مجيء الملكين في القبر، وغير ذلك، كما تختلف الطرق في أذكارها وأورادها، فأحمد التجاني شرّع لأتباعه (صلاة الفاتح) ورتّب عليها أجورًا حدّدها من نفسه، وعند السّمانية علاج الحمىٰ كما في كتاب أزاهير الرياض: (شقش شقموش نمو شلخ راع المنخ أبا نوخ العجل الساعة)!!، وهذه إشارة عابرة يصح أن تكون نموذجًا لضرب المثال ممّا تحويه مئات الكتب في ذلك.

قال الكاتب: (ثم ذكر الكاتب حديث: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**» خارج عن الموضوع وكل ذلك للترويج والتمويه وحشو الأدلة وهذا الحديث في واد والاحتفال بمولد النبي في واد آخر).

قلتُ: يقول الكاتب ذلك مع أنّه (نقل) محاولةً للدفاع عن أبيات البردة، وأبيات للبرعي وغيرها مما أوردتُه في مقال (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد) ممّا سقتُه (تبعًا) وليس هو في الاستدلال علىٰ بيان بطلان المولد وإنّما هو في الغلو الذي يحصل فيه، فلماذا علّق علىٰ ذلك طالما أنّ ما أوردتُه في حديث (أجعلتني لله ندًا) خارج عن الموضوع، فتلك الأبيات أيضًا ليس لها صلة بالموضوع! وهذا مثال للمنهجية التي سار عليها الكاتب المقلد.

قال الكاتب: (بل العلم الأصولي لا يُؤخذ إلا من صدور الرجال بالسند المتصل إلىٰ النّبىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس من السطور والكتب وحدها).

قلتُ: وهل التزم الكاتب بهذا الكلام؟! هل حكَّم فعل النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقوله؟! فأين العلم المتصل عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ادِّعاء بدعة المولد؟! بل أين العمل بقول النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصحيح المتصل بالسند وهو قوله: «وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1] وقوله: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»[2]؟! فالكاتب المقلّد يقول: (السند المتصل) ثم يضرب قول النَّبي السابق في البدع والحكم عليها بقوله: (فجميع الذين يحتفلون بالمولد النّبوي الشريف متفقون علىٰ أنّ حكم إقامة المولد هو الجواز أو الاستحباب والذين يقولون ببدعيته ينطوي عندهم تحت البدعة الحسنة).

قلتُ: البدعة ضلالة في حكم الشرع بالسند المتصل والكاتب يقلّد من أخطأوا في ادِّعاء أنّ من البدع ما هو حسن، وفي أصول الفقه أنّ العام يبقىٰ علىٰ عمومه ما لم يُخصص! ومنه نوع من الاستصحاب وهو استصحاب العموم حتىٰ يرد دليل التخصيص، و«وَكُلَّ بِدْعَةٍ» عموم في البدع المحدثة التي قصد بالتعبُّد بها مضاهاة الشرعية، وقد كتب العلامة الشاطبي المالكي كتاب «الاعتصام»، ليت من يقلدّهم الكاتب أفادوا منه في هذا الباب العظيم، فالبدع في إقامتها اتهام للنّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قبل المبتدعة بالتقصير في

(١) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: (٨٦٧)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي، أبواب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: (٢٦٧٧)، وابن ماجه، في: افتتاح الكتاب، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم: (٤٢)، والحاكم، كتاب: العلم، برقم: (٣٢٩)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني، في: مشكاة المصابيح، برقم: (١٦٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: (٨٦٧).

التبليغ! وليت كل من يقع في البدع يعلم بهذا الأمر الخطير.

قال الكاتب: (وأنّ سُنّة النَّبي ﷺ هي أمّا قوله وفعله وإقراره. أمّا الترك بمعنىٰ أنّ النَّبي ﷺ ترك شيئًا ما أو ترك السلف الصالح له لا يدل علىٰ الكراهية فضلًا عن التحريم ناهيك أن يكون بدعة صاحبها في النار وليس هناك سُنّة تركِيّة وهذا أمر معروف عند علماء الأصول وأهل السنة والجماعة).

قلتُ: هذه قاعدة أصولية معلومة في الشريعة وهي أنّ ترك النَّبي ﷺ لفعل ما مع وجود المقتضِي له وانتفاء المانع يدلُّ علىٰ أنّ ترك ذلك الفعل سُنّة وفعله بدعة، وهذه القاعدة تعرف بالسُّنّة التركِيّة، وهي قاعدة جليلة فيها سد لباب الابتداع في الدين ويشترط لهذه القاعدة شرطان هما: وجود المقتضِي. وانتفاء المانع، كترك الآذان للعيدين فإنّ المقتضِي موجود وهو الإعلام للعيدين ومع ذلك ترك النَّبي ﷺ الآذان للعيدين فالترك هنا يدل علىٰ أنّه سُنّة لقيام المقتضِي وعدم وجود المانع، فإذا لم يوجد المقتضِي لذلك الفعل فلا يكون الترك سُنّة.

ومثال الترك مع عدم وجود المقتضِي، ترك النَّبي ﷺ جمْع القرآن، فلا يكون الترك هنا سُنّة، لأنّ المقتضِي لم يكن موجودًا، ولذلك جمعه الصحابة الكرام وأجمعوا علىٰ ذلك لمّا دعت الحاجة إليه.

والاحتفال بالمولد لم يوجد المانع منه كما أنّ المقتضِي وهو الفرح بالنَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان موجودًا ومع ذلك فالنَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تركه، فوجبت متابعة النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذلك وعدم الإحداث في دين الله فكما

لا يجوز الآذان في العيدين بل هو بدعة وضلالة لمن أراد فعله فلا يجوز هذا الاحتفال وهو بنفس المقام، والقاعدة مشهورة معلومة ذكرها أئمة الإسلام وعلماؤه، والله المستعان فقد وجدتُ نفسي بهذه التعليقات أذكر - مضطرًا - (بديهيات) في العلم!

قال الكاتب: (وأمّا الفرح والابتهاج وضرب الدفوف فالمتفق عليه بين أهل السير أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة مهاجرًا استقبلوه أهل المدينة يضربون الدفوف وينشدون الأناشيد والأشعار ومنها القصيدة المشهورة: طلع البدر علينا ** من ثنيات الوداع).

قلتُ: ما ذكره في القصة المشتهرة عند كثيرين رواه أبو الحسن الخلعي في «الفوائد »[1] والبيهقي في « دلائل النّبوة»[2] عن الفضل بن الحباب قال: سمعتُ عبد الله بن محمد بن عائشة يقول فذكره. وهذا إسناد ضعيف رجاله ثقات، لكنه (معضل) سقط من إسناده (ثلاثة رواة أو أكثر)، فإنّ ابن عائشة هذا من شيوخ أحمد وقد أرسله فلا تثبُت هذه القصة، وبهذا (الإعضال) أعلّه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»[3]. وكذلك حكم بعدم صحة القصة الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[4] وقال البيهقي كما في تاريخ ابن كثير: « لمّا قدم المدينة من ثنيات الوداع كان عند مقدمه من تبوك »[5].

(١) (٢/ ٣٣٦).

(٢) (٢/ ٥٠٦-٥٠٧).

(٣) (١/ ٧٤٩).

(٤) (٧/ ٢٦١-٢٦٢)، (٨/ ١٢٨-١٢٩).

(٥) (٣/ ٤٨٢).

وقال ابن القيم في «الزاد»: (وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ; لِأَنَّ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُرُّ بِهَا إِلَّا إِذَا تَوَجَّهَ إِلَىٰ الشَّامِ)[1]، فإنّ (ثنية الوداع) ليست في الجهة التي يقدُم إليها القادم من مكة إلىٰ المدينة وإنّما هي جهة القدوم من الشام وهذا ممّا يؤكد عدم صحة القصة التي سندها معضل أي منقطع لا يصح.

فليثبت العرش ثم لينقش، وهكذا يستدل القوم بقصص لا تثبُت وأحاديث ضعيفة وأخبار مُختلَقة موضوعة ويبنوا علىٰ ذلك معتقدات وبدع، وإنّهم لما يحيون البدع فإنّهم يُميتون السُّنن، فالكاتب يريد أن ينقل مقلّدًا لإيجاد ما يبرر (ضرب النوبات) وما شابهها، مما لم يفعله النّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا صحابته الكرام ولا الأئمة الأعلام، فإنّهم لم يكونوا يرقصون أو يطربون أو يضربون الدفوف! ولست بحاجة لأنقل كلام علماء أهل السُّنة في ذلك كقول الإمام العلَم الشافعي: (خَلَّفْت بِبَغْدَادَ شَيْئًا أَحْدَثَهُ الزَّنَادِقَةُ يُسَمُّونَهُ التَّغْبِيرَ يَصُدُّونَ بِهِ النَّاسَ عَنْ الْقُرْآنِ)[2].

وقال العلامة الطرطوشي المالكي: (وقد كان الناس فيما مضىٰ يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثُر الجهل، وقلّ العلم، وتناقص الأمر، حتىٰ صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا، ثم ازداد الأمر إدبارًا، حتىٰ بلغنا أنّ طائفة من إخواننا المسلمين، وفقنا الله وإياهم، استزلّهم الشيطان، واستغوىٰ عقولهم في حبِّ الأغاني واللهو، وسماع

(١) (٣/ ٤٨٢).

(٢) أورده الخلال، في: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص: ٧٢، وشيخ الإسلام ابن تيمية، في: مجموع الفتاوىٰ، (١٠/ ٧٧) (٣٠/ ٢١٢)، وأمراض القلوب وشفاؤها، ص: ٧٤.

الطقطقة والزمر، واعتقدته من الدين الذي يقرّبهم من الله عَزَّوَجَلَّ، وجاهرت به جماعة المسلمين، وشاقّت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحَمَلة الدين، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[(١)] [(٢)].

ولن أطيل في ذكر أقوال علماء أهل السُّنة من المذاهب الأربعة في حكم هذه النوبات والدفوف وما يسمىٰ زورًا أو جهلًا (ذكر لله)، فكلامهم في ذلك معلوم مشهور ولكني سأورد حكم بعض المشهورين من الصوفية أنفسهم لأنقل حكمهم في بدعية هذا الذكر الذي يسمىٰ (السماع)، فشهادة القوم أنفسهم فيها عبرة وعظة لكثيرين، مع أنّ القاعدة الشرعية هي تجريد الاتباع للنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



(١) سورة النساء: ١١٥.

(٢) المدخل لابن الحاج، (٣/ ١٠٠- ١٠١).

(٩)

وقفت في نهاية الحلقة السابقة في بيان حكم السماع والذكر الصوفي و(النوبات) وما يتبعها من طقوس، وقد بيّنتُ ضعف قصة (طلع البدر علينا...) سندًا ومتنًا، ثم سقتُ كلامًا للإمام الشافعي وللعلامة الطرطوشي المالكي في الإنكار علىٰ جعل الرقص وضرب الدفوف ذكرًا يُتعبَّد به الله، وهو من المحدثات في شريعة الإسلام، ووعدتُ أن أسوق في حكم هذه البدعة المستحدثة وإبطال ادِّعاء أنّها من ذكر الله أقوال بعض الصوفية أنفسهم! من باب (وشهد شاهد من أهلها)[1].

قال أبو علي الروذباري المتوفىٰ سنة (٣٢٢هـ) وهو من كبار الصوفية قال عن السماع وذلك في كتاب «كشف المحجوب»: (ليتنا تخلصنا منه رأسًا برأس) وردَّ علىٰ من قال بجوازه وادَّعىٰ الوصول عن طريقه فقال: (نعم قد وصل، ولكن إلىٰ سقر).

وقال الجنيد المتوفىٰ سنة (٢٦٧هـ) في رجل صحبه في سفره وكان يزعق عند سماع ذكرهم وذلك في «الرسالة القشيرية» فقال: (إن فعلتَ ذلك مرة أخرىٰ لم تصحبني).

وأمّا السهروردي المتوفىٰ سنة (٦٣٠هـ) فرفض هذه الظاهرة وما يتبعها وما يصاحبها فقال في كتابه «عوارف المعارف»: (إن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشبب بشباته، وتصوَّره في

(١) النقول التي أوردتها عن أربعة من المتصوفة في هذه الجزئية مستفادة من كتاب: (السماع الصوفي - شبهات وردود) لمحمد بن أحمد الجوير، نشر دار الصميعي بالرياض.

نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهل استحضروا قَوَّالًا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بأنّه يُنكر ذلك من حال الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تُطْلَب ما أهملوها).

وقال السهروردي - أيضًا في بيان عدم صحة ما يستدل به الصوفية علىٰ التواجد وتمزيق الثياب -: (... ويخالج سري أنّه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه علىٰ ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبىٰ القلب قبوله، والله أعلم بذلك).

وعدَّ الطوسي وهو أحد أئمة الصوفية في كتابه «اللمع» أنّ هذا السماع، وما عليه الصوفية في ذلك هو سماع أهل الباطل فقال: (سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكونة والطبل سماع أهل الباطل، وهو المحظور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المرويّة عن رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ). وللاستزادة الاطلاع علىٰ كتاب: «السماع الصوفي - شبهات وردود» لمحمد بن أحمد الجوير.

قلتُ: أدلة إبطال ما عليه الصوفية من ضرب (الطار) و(النوبات) وما هو مشهور عند العامة بـ «كشلوْ كشلوْ» وما تطوّر عليه الحال حتىٰ وصل إلىٰ ما يقدم في قناة «ساهور» وغيرها من أدائه هذا العمل المبتدع في دين الإسلام بواسطة نساء متبرجات في كامل زينتهن وبالآلات الموسيقية، ويؤديه أحيانًا الفنّانون الذي يحيون حفلات الرقص والطرب! أدلة بطلان ذلك واضحة معلومة، لكن قصدت بإيراد كلام بعض الصوفية في ذلك التنبيه بطريق آخر لبعض من لم يتضح لهم بدعيَّة هذا العمل المحدث ليبحثوا عنه (متجردين) عن قيود التبعية قاصدين الوصول إلىٰ الحق، واضعين التقيد بما كان عليه

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحابته ميزانًا في إثبات المشروع والعمل به والبعد عن الممنوع، والمبتدع الموضوع. وما فعلتُه هو شبيه بما نقله ابن تيمية: عندما نقل في كتابه «الفتوىٰ الحموية» كلام ابن خفيف والحافي وغيرهما في إثبات صفة العلو لله تعالىٰ.

ومن عجائب ما أورده الكاتب أنّ ما عليه قناة «ساهور» هو عمل فردي لصاحب القناة! كما أنّ أفعال شيخ الأمين المعروف بشيخ البيبسي... هو عمل فردي أيضًا!

قلتُ: لا أدري هل يوافق الصوفية علىٰ هذا الكلام؟! كما أنّنا اطلعنا علىٰ تصريحات وبيانات صدرت من الذكر والذاكرين والمجلس الأعلىٰ للتصوف نشرت بالصحف تشدُّ من أزر شيخ الأمين وتقف بجانبه وتبيّن أنّ زاويته هي إحدىٰ دور الذكر الصوفي! وذلك علىٰ خلفية إنكار أهل الحي الذي يسكن فيه لما حدث من تلك الزاوية ومن ممارسات المريدين! والكاتب الذي لم يستحي في التلفيق علىٰ أهل السُّنة السلفيين جماعات وأفرادًا فقد نسب السلفيين للتكفير واستشهد بحادثة الجرافة التي كان ضحيتها السلفيين لكن الكاتب يجهل ذلك أو يمثل دور الجاهل إذ حادثة مسجد الجرافة ومسجد شيخ أبي زيد ومسجد مدني كلها استهدف فيها التكفيريون بسلاحهم ورصاصهم السلفيين، لأنّ السلفيين واجهوهم بسلاحهم (العلمي) فكشفوا حججهم وأبطلوا شبهاتهم، وهذا الأمر من البديهيات وقد كتبتُ بهذه الصحيفة أربع حلقات بعنوان: (بين التكفيري عباس الباقر وآخرين) وأتيتُ بوثيقة كتبها هذا التكفيري يُكفِّر فيها من العلماء السلفيين ابن باز وابن

عثيمين والألباني والفوزان، وغيرها من مقالاتي في الرد علىٰ التكفيريين[1]، كما أنّ الكاتب افترىٰ علىٰ السلفيين عدة مرات، وقد افترىٰ وكذب في نقل عن الشيخ الدكتور صالح الفوزان سيأتي توضيحه، وكنت أتوقع أنّ نصحي له لمّا بيّنت وكشفتُ (تزويره) و(افتراءه) لما قال إنّ ابن تيمية يجيز المولد كنتُ أتوقع أنّه سيفيده ولكنه - هداه الله - لم يستفد وصعُب عليه الاعتراف بخطئه الكبير وافترائه، بل إنّه تمادىٰ في نقول غير صحيحة، وسأوضّح ذلك إن شاء الله لاحقًا، فهو كما بيّنتُ سابقًا بين نقل أحاديث مكذوبة موضوعة كحديث خلق النَّبي ﷺ من نور، أو ضعيف كحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ، أو بقصة لا تثبت كقصة (طلع البدر علينا)، فالكاتب بين إيراد الأخبار المكذوبة والموضوعة أو إيراد التهم الباطلة التي لن يستطيع إثباتها حتىٰ يلجَ الجمل في سمِّ الخياط. وبين إنكار حقائق ثابتة راسخة كقناة «ساهور» وإنكاره أنها تبرز صوتًا كبيرًا للتصوف وليس عملًا فرديًا!

وأختم بنقول أخرىٰ من علماء أهل السُّنة في بيان بدعية السماع الصوفي، والرقص والطرب والتمايل وضرب النوبات وما يتبع ذلك، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ناقلًا عن المفسِّر المالكي القرطبي قوله: (...وأمّا ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت علىٰ كثير ممن يُنسب إلىٰ الخير حتىٰ لقد ظهرت

(١) نشرتُ بعمود (الحق الواضح) بالصحف السودانية أكثر من سبعين مقالًا في بيان انحراف الجماعات التكفيرية وتضليل مسالك التكفير المنحرفة، وقد طبعت بعض تلك المقالات في كتيبات، منها: أثر اتباع منهج أهل السنة والجماعة في الوقاية من الغلو والتطرف، وأسباب تسلل الفكر التكفيري إلىٰ بعض الشباب في الجامعات، والرد علىٰ مساعد السديرة زعيم ما يسمىٰ بالسلفية الجهادية في السودان.

من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتىٰ رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهىٰ التواقح بقوم منهم إلىٰ أن جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال وأنّ ذلك يُثمر سِني الأحوال وهذا علىٰ التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المخرفة والله المستعان)[1].

وقال الطرطوشي المالكي: (وأمّا الرقص والدق وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خفاء علىٰ ذي لب أنّه سخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولِمَا كان عليه الأنبياء والصالحون)[2].

وقال الشاطبي المالكي في بيان الحديث المكذوب في التواجد في كتاب «الاعتصام»: (فمنها اعتمادهم علىٰ الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوبة فيها علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها كحديث، أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تواجد واهتزّ عند السماع حتىٰ سقط الرداء عن منكبيه وما أشبه ذلك، فإنّ ناقل أمثال هذه الأحاديث - علىٰ ما هو معلوم - جاهل ومخطئ في نقل العلم الشرعي، فلم يُنقل الأخذ بشيء منها يُعتد به في طريق العلم، ولا طريق السلوك)[3].

وقال القرطبي المالكي في بيان سند الحديث: (إنّ هذا الحديث ممّا لا يوجد مسندًا ولا أخرجه في كتابه أحد من أئمة المحدثين، وإنّما هي أحاديث مروَّجة وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون والمخرفة يرمون

---

(١) (٢/ ٤٤٢).

(٢) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع للطرطوشي ص٢٦٣.

(٣) ص: ٢٨٧.

بذلك نسبة اللهو والمجون إلىٰ الأنبياء الفضلاء)[1].

وقال: (إنّ الواقف علىٰ متن هذا الحديث يعلم علىٰ القطع أنه مصنوع موضوع لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب ولا يليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم وإنما يليق بمخنثي شعر المولّدين)[2].

وفي كتاب «تلبيس إبليس» لابن الجوزي، أورد قول الإمام ابن بطة المتوفىٰ (سنة ٣٨٧هـ): (سألني سائل عن استماع الغناء فنهيتُه عن ذلك وأعلمتُه أنّه ممّا أنكره العلماء واستحسنه السُّفهاء وإنّما يفعله طائفة سُموا بالصوفية، وسمَّاهم المحققون الجبْرِيَّة أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يُظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أنّ ذلك من شدة حبِّهم لربِّهم وشوقهم إليه، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا)[3].

إنّ الواجب الاستقامة علىٰ الأذكار الشرعية التي ثبتت في الكتاب والسُّنة وهي التي يترتب عليها الأجر والثواب ويقبلها الله تعالىٰ وفي ما صحّ في السُّنة الخير والكفاية من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وسبحان الله بحمده وسبحان الله العظيم وأمثالها مما ثبت بالدليل الصحيح فإنّها خير الكلام وألفاظها ومبانيها ومعانيها عظيمة يجب الإكثار منها والاجتهاد فيها، وكل عمل لم يكن عليه النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو رد، أي مردود علىٰ صاحبه.

(١) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي ص١٠١-١٠٢.

(٢) المصدر السابق ص١٠٢.

(٣) ص: ٢١١.

(١٠)

قال الكاتب: (ثمّ نقل كلام ابن الحاج وأغفل كلام كثير من العلماء الذين أجازوا فعل المولد كالحافظ السخاوي وتقي الدين السبكي وابن حجر العسقلاني والهيثمىٰ وابن كثير والسيوطي والنووي، وغيرهم بل حتىٰ ابن تيمية قدوة السلفية أجاز المولد واختار هذا الكاتب كلام بن الحاج لشذوذه ولأنّه موافق لهواه).

قلتُ: نقلي لكلام العلماء هو نقل بعد بياني للحكم الشرعي في بدعة المولد، فقد بيّنتُ حكم هذه البدعة بالأدلة الشرعية وأنّه بدعة محدثة لم يفعلها النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يفعلها صحابته الكرام ولا أحد من أصحاب القرون المفضَّلة، وأمّا نقل كلام العلماء فهو تبع، والاتباع للعلماء ليس هو التقليد!! فالاتباع أخذ كلام العالم مع معرفة لدليله، وأمّا التقليد فهو أخذ القول من غير معرفة لحجته ودليله، وهذا ما يحتاج أن يفهمه الكاتب وغيره ممن اضطرب في فهم كلام العلماء ولم يعلم الموقف منهم، وليس ابن الحاج وحده هو العالم المالكي الذي أنكر بدعة المولد وحذر منها، فالمشهور عن المالكية عامة شدة تمسكهم بالدليل ومحاربتهم وتحذيرهم من البدع، وفي بدعة المولد خصوصًا بحق خاص لموقف علماء المالكية من بدعة المولد، فالقضية ليست بالتشهي والانتقاء من الأقوال حسب الهوىٰ! وإنّما بعرض قول العالم علىٰ الطريقة الصحيحة وهي أن يورد أدلَّته، وكل عالم يُؤخذ من قوله ويُرد، وقد بيّن العلماء أنّه يجب علىٰ من يتبعهم أن ينظر في أدلتهم، وقد برئت ذمتهم بذلك.

وابن تيمية نقلتُ سابقًا قوله في أنّ المولد بدعة وضلالة وما ورد عنه في المسألة ممّا ذكره الكاتب فهو لا يعني إجازته وأرجو من الله تعالىٰ أن يفتح علىٰ الكاتب في الفهم حتىٰ يعي ذلك.

قال الكاتب: (والغريب العجيب أنّهم ينكرون الاختلاط في المولد فقط ويتركون النكير في الاختلاط في الأسواق والمكاتب والمدارس بل والجامعات وكثير ممن يُسمّون أنفسهم بالسَّلفية يعلمون أنّ في الجامعات اختلاط ويزجُّون بناتهم فيها بل الاختلاط موجود في الطَّواف).

قلتُ: يُنكر الكاتب الشمس وهي في كبد السماء ليس دونها غيم! فجهود السَّلفيين في التحذير من الاختلاط معروفة ولو نظر الكاتب في إرشيف مقالاتي فقط لعلم أنّه قال خلاف الواقع في ما قال؛ وقبل أقل من ثلاثة أشهر كتبتُ مقالًا عن آثار الاختلاط، وكذلك ضمن سلسلة مقالاتي في المظهر العام بين الواقع والمأمول، وكتابي في نقد اتفاقية سيداو به مبحث خاص في أمر الاختلاط في التعليم والعمل وهذا من الأمور المعلومة في المجتمع بالاضطرار أنّ السلفيين يُحذِّرون من الاختلاط في المدارس والجامعات والأعمال ودورهم في ذلك بارز، ولا أدري كيف تجرأ الكاتب لنشر هذا الافتراء (القبيح) وهل يجد فتاوىٰ لعلماء سلفيين بإجازة الاختلاط والسماح به؟! وهل إدخال شخص لابنته رغم معرفة الحكم الشرعي في تعليم مختلط أو غيره من الأفراد يضر أو يؤثر في الجهود السلفية المعلومة في بيان آثار الاختلاط المدمرة ثمّ هل الاختلاط في الطَّواف هو كالاختلاط في ساحة المولد؟! سبحان الله ما هذا القياس العجيب؟! إنّ الاختلاط في المولد بيَّن محمد الأمين القرشي بعض

وصفه بقوله[١]:

مسارح للظباء خرجن فيها	مراتع للخلاعة والخمول
وشبان يرنحهم غرام	بكاسات الصبا قبل الشمول
يؤمون المكان بلا حياء	وما أهوىٰ الجميلة للجميل
يطوف بها علىٰ الحلقات حتىٰ	يخادعها فتخدع بالمثول
عهود أبرمت ووثيق عهد	ينفذ حكمه بعد الوصول

هذا شيء ممّا يحدث في ساحة المولد، ولكن الكاتب يريد أن يجعل هذا الأمر كالطَّواف بالبيت، فالاختلاط في الطواف ويقال كذلك في الاختلاط في الأسواق وفي المطارات إنّ هذا اختلاط عابر وفرق بين الاختلاط الذي يجلس فيه الرجال والنساء أوقات طويلة في التعليم والعمل! وأمّا اختلاط المولد وخاصة (ليلة القفلة) أو (الزفة) كما يقال! فنوع اختلاطها معلوم غير خفي لا يحتاج إلىٰ مكابرة! للأسف، و إنّ أمر الاختلاط في المولد هو أمر يذكر - تبعًا -، وإلا فإنّ أمر البدعة تذكر فيه الأدلة الشرعية في إثبات بدعيته والتي أوجزتُها في مقالي (ثماني وقفات مع المحتفلين بالمولد).

قال الكاتب: (قال إنّ هناك فرق بين المقلِّد والباحث فقد أتانا الكاتب بعلم جديد ففي أي كتب الأصول أتانا بهذا الفرق).

قلتُ: الكاتب عرّف بنفسه في مقاله الأول بأنّه قصد كتابًا معيّنًا ليرد به علي

(١) قصيدة في ذم بدعة المولد لمحمد الأمين القرشي قاضي سابق بالسودان، لي تعليق علىٰ قصيدته وتعريف موجز به منشور في مقال علىٰ الرابط: https: / /arifalrikaby.com /?p=٧٩٦.

كما قصد طلاب شيخ معين ليُعطوه ما يرد به علي، وهذا الذي وصف الكاتب به نفسه هو التقليد المعروف، وفرق بين التقليد الذي هو (نقل) محض بأخذ القول دون معرفة دليله! وبين الاتباع الذي ينظر فيه صاحبه إلىٰ دليل من يأخذ عنه وله أن يرده وله أن يقبله، فلا يشترط أن يكون مقابل التقليد هنا الاجتهاد، وإنّما المقصود بالبحث الذي ذكرته هو الذي يتكون به الاتباع،

وأما قول الكاتب: (فكل من يكتب في موضوع فهو باحث وهذا المصطلح ممّا أتىٰ به الغرب والمعروف في كتب الفقه أنّ الرجل يكتب بابًا في كذا وفصلًا في كذا وكتابًا في كذا وأمّا البحوث فهي من المستحدَثات).

فأقول في بيان تهافته فيه: هذا مكمن جهالات الكاتب التي جاد بها في هذه المقالات، فكُتب العلماء المسلمين هي بحوث، وما كتبوه وما قالوه هو بحوث، ومن له أدنىٰ اطلاع يرىٰ ذلك، وهذا الرازي عندما حكىٰ في آخر أيامه ضلاله باتباع الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية التي ساقته إلىٰ مذهب الأشعرية بسبب علم الكلام حكىٰ ندمه كما حكىٰ الشهرستاني والغزالي وغيرهم وأعلنوا رجوعهم لمذهب أهل السُّنة وأهل الحديث فقال الرازي[1]:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وآخر دنيانا أذىً ووبال

(١) انظر، النبوات، (١/ ٤٠٨)، ومجموع الفتاوىٰ، (٤/ ٧٣)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، (٢/ ٣٠٥)، وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٤٣/ ٢١٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٧/ ١٣)، وفيات الأعيان لابن خلكان، (٤/ ٢٥٠)، طبقات الشافعية الكبرىٰ، للسبكي، (٨/ ٩٦).

ولـم نستفد مـن بحثنا طـول عمرنـا سـوىٰ أن جمعنـا قيـل وقالـوا

وقد نظرت في مجموعة من الكتب في علم أصول الفقه فرأيت ما أعلمه سابقًا من التسمية بـ: بحث كذا، كما في كتب الجويني في «البرهان»، وفي «أصول الشاشي والفروق» للقرافي، وذكر البحث بالمعنىٰ المعروف حاليًّا السيوطي في «الأشباه والنظائر»، وقبل ذلك الآمدي في «الإحكام»، والزركشي في «البحر المحيط» وغيرهم وغيرهم، وقد عجبت أيضًا ممّا كتبه الكاتب في إرجاع مصطلح البحث إلىٰ الغرب!

قال الكاتب: (ومع أنّه في بحثه غارق في التقليد إلىٰ أذنيه فجميع ما ذكره من وقفات منقول بحروفه أو بتصرف قليل من كتب التقلاوي والعثيمين وابن باز).

قلتُ هكذا يجزم الكاتب وربما هو ممن يدعون علم الغيب! كما يدعي ذلك شيوخ من الصوفية لأنفسهم! فأقول وأشهدُ الله عليها أنّني لم أنقل في مقالي في حكم المولد عن ابن باز ولا ابن عثيمين وأمّا التقلاوي فلا أعرف له اسم كتاب ولم أقرأ له كتابًا واحدًا فضلًا عن أن أنقل عنه! لكن الافتراء في مقالات هذا الكاتب تنوعت وتعددت، فما هذه الجرأة في الحكم والنسبة؟! وأمّا ما نقلتُه فليس فيه ذرة تقليد وإنّما أنا أتبع ولا أقلد فما رأيته يوافق الحق بدليله وحجته صحيحة اتبعتُه ولن يغني عني عالم أو شيخ أمام الله تعالىٰ، وأحمد الله أنّني لا أعتقد العقيدة التي يدافع عنها الكاتب وهي عقائد الصوفية وقد كتبتُ في ما سبق في هذه الحلقات (حكاوي الصوفية) أنّهم يحضرون مع المريد عند موته وعند سؤال الملكين... وغير ذلك من (الشطحات)

الشيطانية التي تجرؤوا علىٰ نظمها ونشرها وطباعتها، كما نقلتُه عن «ديوان البرعي» وكتاب «أزاهير الرياض» لعبد المحمود نور الدائم وكتاب «جامع الشطحات» لإسماعيل الولي، وهو ما ينتظر إجابة من أي شخص صوفي ينتسب للصوفية أو يدافع عنها، فهكذا الشيوخ عند كثير من الصوفية! وأما السَّلفيون فيتبعون العالم ويقبلون منه إن أصاب، وإن أخطأ تركوا خطأه ولو بلغ في العلم ما بلغ وهذا من البديهيات المعلومة، التي لا يسعف أحد إنكارها.



(١١)

قال الكاتب: (وقوله إنّهم يتخذون القبور مساجد ويبنون علىٰ القبور. فهذه مسألة خارجة عن الموضوع وقصد بها زيادة التجريح وعلىٰ القارئ أن ينظر لهذا الموضوع في كتاب إحياء المقبور في استحباب أو جواز البناء علىٰ القبور للإمام الغماري).

قلتُ: وهكذا هي المنهجية لدىٰ من سهُل عندهم أمر الدين والعقيدة وتاهوا عن مصادر التشريع وأصبحت القضية لديهم إثبات معتقد عليه القوم يبحث له في الكتب عما يسنده ويدعمه، ومعلوم لدىٰ من وفقهم الله أنّ كلام الرجال يُستدلُّ له ولا يُستدلُّ به، فإنّ الحكم الشرعي لأي مسألة يجب أن يؤخذ من كتاب الله وسُنّة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالكاتب يحيل في هذه المسألة إلىٰ كتاب! علمًا بأنّي من باب الإلزام نقلت كلام الغماري في إبطال الحديث المكذوب الموضوع علىٰ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مبدأ الخلق وأمر النُّور المحمّدي الذي اختلقته بعض الطرقية ونُسب زورًا إلىٰ مصنف عبد الرزاق، فهل سيأخذ الكاتب به طالما أنّه يشير إلىٰ كتاب للغماري في هذا المقام؟!

وأما الحكم الشرعي المأخوذ ممّا ثبت في النصوص الشرعية في حكم البناء علىٰ القبور فهو أنّه يحرم البناء علىٰ القبور ولا يجوز تجصيصها ولا وضع المصابيح عليها، ويجب أن يحتكم الجميع في ذلك وفي غيره للوحي من كتاب الله وسُنّة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والسَّلفيون عندما يبيّنون أنّه لا يجوز البناء علىٰ القبور فإنّهم يسيرون بتوجيه الصادق الأمين المصطفىٰ المجتبىٰ

المرتضىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد وردت أحاديث كثيرة بهذا الشأن ومنها ما قاله وهو علىٰ فراش الموت لبيان أنّ ذلك من وصاياه العظيمة لأمّته، ومن تلك الأحاديث قوله: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[١] متفق عليه، وقوله: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٢] رواه مسلم، ولما ثبت أيضًا عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ»[٣] رواه مسلم، وعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[٤] رواه مسلم.

قال القرطبي المالكي: (وذهب الجمهور إلىٰ أنّ هذا الارتفاع المأمور بإزالته هو ما زاد علىٰ التسنيم ويبقىٰ للقبر ما يُعرف به ويُحترم، وأمّا تعلية البناء الكثير علىٰ ما كانت الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا فذلك يُهدم ويُزال، فإنّ فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهًا بمن كان يُعظِّم القبور ويعبدها، وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يُقال هو حرام،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر وعمر ب، برقم: (١٣٩٠)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد، علىٰ القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم: (٥٢٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد، علىٰ القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم: (٥٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الكسوف، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، برقم: (٩٧٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الكسوف، باب: الأمر بتسوية القبر، برقم: (٩٦٩).

والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبر، مأخوذ من سنام البعير)[1].

وكلام الإمام القرطبي السابق هو ما نصّ عليه الإمام مالك رحمه الله في المدونة، وعلّق عليه سحنون: (١/ ١٨٩) والقول بتحريم البناء علىٰ القبور تلقاه علماء الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة لوضوح الأحاديث الواردة في ذلك، وصراحتها، والبناء علىٰ القبور وتزيينها وإيقاد المصابيح عليها هو من الوسائل التي بسببها يقع بعض الناس في الشرك بالله تعالىٰ وهو أعظم الأخطاء والمنكرات، فإنّ الشرك يكون بدعاء المقبورين والأموات وندائهم من دون الله تعالىٰ، وتجصيص القبور وبناء القباب عليها هو من الوسائل التي توصل إلىٰ ذلك. وحماية للمسلم في أهم ما يملك من المعتقد الصحيح نهىٰ النَّبي الرؤوف الرحيم بأمّته من ذلك[2].

هكذا يجب أن تكون المنهجية في بناء الأحكام أن تُبنىٰ علىٰ ما قال الله وقال رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال الكاتب: (فإنّ الكاتب لا ينظر إلىٰ المولد إلا بعين النقد والتجريح والتنقيص فإنّ في المولد تلاوة القرآن وذكر الشمائل وغيرها من أنواع الأذكار ومحاضرات يقيمها علماء أجلاء ومعارض يُنشر فيها سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإطعام الطعام وغير ذلك من الأعمال الصالحة).

قلتُ: وتلاوة القرآن وذكر الشمائل وإقامة المحاضرات متاحة لنا في طيلة أيام العام، فهي ليست بحاجة إلىٰ أن يُقام ويُحدث ويُبتدع عيد واحتفال

---

(١) تفسير القرطبي، (١٠/ ٣٨٠- ٣٨١).

(٢) المدونة الكبرىٰ للإمام مالك، رواية الإمام سحنون التنوخي، (١/ ١٨٩).

في دين الإسلام لم يشرعه الله تعالىٰ لتقام فيه هذه الأمور التي تتيسر في كل وقت وآن، وقد علّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصحابه في كل الأوقات والساعات وهكذا صحابته الكرام لم يخصصوا يوم عيد مولد لإقامة ذلك، وإنّما نشروا الحقّ في كل الأوقات والساعات، فما اللازم بينهما؟!!.

قال الكاتب: (ولكن إذا نظرنا نظرة عقل فاحصة كيف يكون ردك علىٰ الغرب عندما يُسيء إلىٰ الإسلام بفلم أو مسرحية أو «فيديو كليب» هل تكتب لهم أنّ ابن تيمية قال كذا أو أنّ الحكم الشرعي هو كذا، أرجو أن تتسع دائرة الفهم لديك لتدرك متطلبات العصر طالما أنّ الرسالة المحمّدية صالحة لكل زمان ومكان).

قلتُ: وهل يكون الرد علىٰ الغرب أو غيره بضرب الطبول و(دق الطار) والرقص والصياح والقيام للحضرة وما شابه ذلك؟! لقد دوّن في تأريخ الأمة الإسلامية جهود العلماء والأئمة في نشر محاسن الإسلام والتعريف بالدين في أصوله وأحكامه ومقاصده وغير ذلك ورُدّت شبهات الكفار ولم يكن في وسائل ذلك إحداث مولد أو إقامة ليال للمديح وضرب النوبات، ولا يخفىٰ علىٰ كثيرين ما الذي يغضب الغرب وما الذي يفرحه؟!! هل يغضب الغرب وغيره لما تفعله الصوفية في ساحاتها ممّا نُسب للإسلام والإسلام منه بريء أم يغضب للجهود العلمية والتزام السُّنة النَّبوية ونشرها بين الناس نقية من البدع والمحدثات والشوائب؟!

قال الكاتب: (قال الفوزان «ص ١٤» من تلك الرسالة «ومن الفرق الضالة المعاصرة: فرقة حسن البنا «الإخوانية» وفرقة حسن الترابي «الترابية» وفرقة سيد قطب «القطبية» وفرقة محمد سرور «السرورية» وفرقة عبد الرحمن

عبد الخالق «التراثية» وفرقة محمد إلياس «التبليغية» وفرقة محمود الحداد «الحدادية» وفرقة الحبشي).

قلتُ: خالف الكاتب الأمانة العلمية في نسبة هذا القول للشيخ الدكتور صالح الفوزان، ومؤسف جدًّا أن يتنقّل الكاتب بين الافتراءات العامة والافتراءات علىٰ الأفراد! فقد أورد في مقالاته هذه دعاوىٰ واتهامات وأكاذيب تمنيتُ لو أنّه لم يتعجّل في نشرها، ولي بفضل الله سنوات طويلة بهذه الصحيفة وبأحد أكبر منتديات الحوار السودانية وناقشتُ خلال السنوات الماضية بالصحيفة وتلك المنتديات كُتابًا عديدين وتحاورت في المنتديات مع ملاحدة وليبراليين ورافضة شيعة وجمهوريين ونصارىٰ وغيرهم إلا أنّي لم ألق جريئًا في نشر الكذب والافتراء مثل كاتبنا أبي عبيدة عمر، فهل سيعتذر هذه المرة أبو عبيدة عن كذبه علىٰ الفوزان أم سيحاول تغليفه باللف والدوران كما فعل في ادعائه أنّ ابن تيمية جوّز بدعة المولد؟! ولأسهِّل عليه المهمة فإنّ العبارة أعلاه هي من قول معلق علىٰ كلام للشيخ الفوزان وليست للشيخ نفسه كما جزم الكاتب وهو بذلك ضحية لتقليد أعمىٰ لم يشم رائحة البحث ولا التحقيق، للأسف الشديد.

عمومًا سأواصل التعليق علىٰ موضوعات أخرىٰ رغم حال لمن أعلق علىٰ قوله، تبيانًا وتوضيحًا للحقِّ وإتمامًا لإفادة القراء المتابعين لهذه الحلقات وأطمع أن ينبري لي من المتصوفة من يستحق أن يُناقش فالتزام المصداقية والأمانة العلمية شرط محقق وضروري لأي مناقشة جادة موضوعية يُنتظر منها الإفادة.



(١٢)

قال الكاتب: (ففي مسجد الجرافة قُتل ما يقارب أربعين رجلًا يُصلُّون بين يدي الله كل هذا من نتائج هذا التدين).

قلتُ: هذه الجزئية من نماذج ممارسة (قَلْب) الحقائق التي سار عليها الكاتب فمسجد الجرافة هو مسجد للسّلفيين وخطيبه ومؤذنه وكثير من المصلين فيه هم من السّلفيين، والذي ارتكب تلك (المجزرة) هو عباس الباقر وهو شخص تكفيري، فإذا كان الكاتب يعلم هذه الحقيقة وأخفاها فهي طامَّة وإن كان يجهلها فتلك طامَّة أخرىٰ، ومن لا يفرق بين السلفيين والتكفيريين كمن لا يفرق بين التمرة والجمرة! وسبب هجوم التكفيري عباس الباقر علىٰ المسجد هو تحذير السلفيين منه ومن منهجه وعقيدته، وقد كتب الهالك عباس الباقر أوراقًا أرسلها لإمام المسجد قبيل الحادثة وقد نشرت سابقًا تلك الأوراق ضمن سلسلة حلقات من أربعة مقالات بعنوان: (بين التكفيري عباس الباقر وآخرين)، والخوارج والتكفيريون ظهروا والصحابة موجودين فلم يقدح ظهورهم في علم الصحابة ودعوتهم ونشرهم للخير، فلا يضر السلفيين وجود وانتشار الفكر التكفيري المنحرف، والحقيقة التي لا بد من التسليم لها هي أنّ السلفيين هم من يردُّون علىٰ التكفيريين ويُناظرونهم ويُناقشونهم بالحجج العلمية والبراهين والأدلة، ونفع الله بجهودهم.

قال الكاتب: (أول نتائجه كل من دخل في الدعوة الوهابية لا بد أن يعتقد موت أبويه علىٰ الشرك فمن يعتقد آباءه قد ماتوا علىٰ الإسلام يُستتاب فإن تاب وإلا ضُرب عنقه وصار ماله فيئًا للمسلمين هذا في كتاب الدرر السنية ١٠/ ١٤٣عمدة السلفيين).

قلتُ: هلا أورد الكاتب نقولًا يُثبت بها هذه الدعوىٰ العجيبة! ويكفي ردًّا في قوله هذا ما يراه أفراد مجتمعنا من أبنائهم وإخوانهم السلفيين من أنّهم ليسوا كما وصفهم الكاتب في هذه التهمة، فالسلفيون يعيشون في مجتمعنا ويتعاملون مع الناس بالحُسنىٰ هكذا عامتهم ومن شذّ من الأفراد في أسلوبه فلا يغير ذلك من الأصل شيئًا.

قال الكاتب: (وأمّا المرحلة الوسطىٰ للتدين بالسَّلفية فسبٌّ وشتم ورمي الناس بالشرك وكل خطبهم التي يتشدقون بها لا تعدو ممّا ذكروه عن القبور والشرك والقباب والبدعة ونحو ذلك لا تعتني ببيان فريضة أو سُنّة فهذا ما يعلمه القراء ويشاهدونه في كل يوم).

قلتُ: إن كان يزعج الكاتب تحذير السلفيين من الشرك والبدع فليبشر بدوام الإزعاج، فإنّهم لم ولن يتركوا ذلك بتوفيق الله لأنّ هذا هو نهج القرآن والسُّنة التحذير من صرف العبادة لغير الله تعالىٰ، وبيان استحقاق الله الخالق وحده للعبادة، وقول السلفيين هذا شرك وهذا بدعة هو نفسه أسلوب القرآن والسُّنّة، وأمّا القباب فقد بيّنتُ في الحلقة السابقة الأدلة علىٰ تحريم بنائها وتحريم البناء علىٰ القبور وتجصيصها، وأمّا بيان الفرائض كالصلاة والزكاة وغيرهما فمساجد السلفيين تزخر بذلك ومعاهدهم وكلياتهم ببلادنا وخلاويهم يُدرَّس فيها ذلك، لكن حقد الكاتب الدفين علىٰ السلفيين أعماه عن رؤية الشمس وهي في وسط السماء.

قال الكاتب: (وأمّا لمزه وغمزه للصوفية فإنّه لا يشينهم بشيء لأنّ الصوفية هم الذين نشروا الإسلام في هذا البلد منذ أكثر من خمسمائة سنة بل

في معظم بقاع العالم وهم الذين علموا الناس التوحيد والقرآن والسُّنة).

قلتُ: ما أقوم به لا يسمىٰ لمزًا وإنّما هو (نقد علمي) فإنّي أعرض ما في الكتب الصوفية من النثر والنظم وأعرضه علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسُنّة نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولي أشرطة منشورة في الشبكة الإلكترونية ومقالاتي بهذه الصحيفة وغيرها وما كتبتُه في الحلقات السابقة من هذه السلسلة يشهد بذلك، فإنّه لا يوجد غمز ولا لمز ولا افتراء ولا بهتان ولله الحمد، وإنّما عرض ونقد بوضوح وجلاء، وهذه الطريقة هي التي تعلمناها من الكتاب الكريم وسُنّة النّبي الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رد المعتقدات والآراء والأفكار المخالفة للشرع.

وأمّا قول الكاتب إنّ الصوفية هم الذين نشروا الإسلام في السودان، فأؤكد أنّ الإسلام دخل السودان عن طريق صحابة نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفي ثوابت التأريخ أخبار دخول عبد الله بن أبي السرح إلىٰ أرض السودان وتأسيس المسجد بمنطقة دنقلا العجوز، وقد دخل التصوف أرض السودان في وسط القرن التاسع الهجري فدخلت الطريقة الشاذلية علىٰ يد الشريف حمد أبو دنانة، ثم جاء تاج الدين البهاري في آخر القرن العاشر الهجري فأدخل الطريقة القادرية، فهذه المعلومة مما يجب أن يُصحح، والصحابة كانوا علىٰ هدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وطريقته في الدعوة إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك والاستقامة علىٰ السُّنّة النّبوية، وإن سلّمنا بأي دور كان للصوفية أو لغيرهم فإنّ ذلك لا يكون مبررًا للصوفية أو لغيرهم لتبديل الشريعة ونشر الشرك والبدع والتعلق بالقبور ودعاء الموتىٰ، فالدين ما شرعه الله تعالىٰ في

كتابه وسُنَّة نبيه محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذا هو مصدر إثبات العقائد والعبادات والأخلاق والأذكار ومصدر التحليل والتحريم، والتوحيد هو إفراد الله تعالىٰ وحده بالألوهية والربوبية وإثبات ما له من الأسماء والصفات، فتُصرف له العبادات وحده ولا يُشرك به شيئًا، فيُدعىٰ ويُستعان ويُستغاث به جلّ وعلا، ويتوجه العبد إليه بدعائه وخضوعه وإنابته وتوكله، وحده ولا يُشرك به شيئًا، ومن يعلم عن أضرحة المتصوفة وكتبهم يعرف مدىٰ موافقة أو مناقضة ما لديهم للتوحيد الذي خلق الله لأجله العبيد، وقد حُكي لنا عن زوّار بعض الأضرحة قولهم: يا شيخ فلان نحن لا نفسّر وأنت لا تقصّر، وأمثال ذلك كثير وقد أصبحت تلك المشاهد متاحة في فضاء الانترنت ومقاطع (اليوتيوب)، وأمّا السُّنّة التي ذكرها الكاتب فقد تقدم عرض بعض الأحاديث التي أوردها وتبيّن من خلال ما تمّ نقده، أنّها ما بين موضوع مكذوب وضعيف.

قال الكاتب: (وذكر الكاتب للشيخ البرعي والسيد البكري أبياتًا تَوَهَّمَ هو فيها الإطراء والغلو).

قلتُ: ليس توهمًا وإنّما هي غلو، وليت الكاتب علّق عليها حتىٰ يدحض ما بينتُه فيها من الغلو، علمًا بأن أشعار البرعي ليس فيها الغلو في النَّبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فقط، بل فيها الغلو في مشايخ السمانية ووالده وغيرهم، وأضرب مثالًا لما قاله عن الشيخ أحمد البشير حيث قال فيه:

يحضر مريدو في النزع والقبير * للحجة يلقنو بأحسن التعبير * وليه يوانس في الوحدة والشبير!

وقال في قصيدة باسمه [1] عن أضرحة شيوخه:

حملت ذنوبًا كالجبال وإنّني ... أتيت إليهم خائفًا أترقب

ومرغت بالأعتاب خدي تذللًا ... إذ الباب مفتوح لمن يك مذنب

وقال في إعطاء المريد الوصفة التي يلتزمها عند شيخه[2]:

أستاذك يا فقير ... كون عندو ذليل حقير

كون ليه قريب وجار ... له أخدم غير إجار

كن ثابت عندهو ... لا تضحك عندهو

في كربك أندهو ... بتغيثك جندهو

سيب غيرو وليهو روح ... قبال تفنىٰ وتروح

سلّم لو وكن طروح ... كالجسد الما في روح

ويقول عن والده[3]:

فللفتح والإرشاد أنت وسيلة ... كذا لقضا الحاجات أنت مجرب

وقال عنه[4]:

وعلمه الكريم علم الحقيقة ... وعلم الغيب مع علم المعاهد

(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة الشيخ أحمد الطيب بن البشير ص١١٢.

(٢) المصدر السابق، قصيدة أهل الوصال ٣١٢ - ٣١٣.

(٣) المصدر السابق، قصيدة مدح ابن وقيع الله ص١٩٣.

(٤) المصدر السابق، قصيدة الشيخ المجاهد ص١٩٨.

وقال عنه[1]:

رئيس الكون شرقًا ثم غربًا ... حكيم الطب للداء المؤلم
رقا بالسر في الملكوت أيضًا ... وفي الجبروت لا تنكر وسلم
يرىٰ بالغيب ما يخفىٰ علينا ... ويسمع صيحة القاصي المكلم
ألا يا من تريد الوصل شمر ... وقف بالباب صامت لا تكلم
وأدخل بالخضوع بغير كبر ... وعند مقامه أبرك وسلم
لتحظىٰ بالفيوضات العوالي ... عيانًا بعضها في النوم يحلم

وقال عنه[2]:

يسبق ياء نداء الدركان ... ويحضر حين يجو الملكان

فهذه نماذج مما لدي من مئات الأبيات التي تنضح غلوًّا وشركًا بالله تعالىٰ، مما يجب أن يُحذّر منه طالما طبع في كتب ونُشر علىٰ أوسع نطاق في النشر.



(١) ديوان رياض الجنة، قصيدة الشيخ المعلم ص١٩٩.
(٢) المصدر السابق، قصيدة الشايب ص٣١٩.

(١٣)

قال الكاتب: (قوله: «ولذ به فىٰ كل مرتجىٰ»، كلها ترجع إلىٰ ما ذكره العلامة من أنّ ذلك يوم القيامة حيث يستغيث به الخلق كلهم كما يأتي بيانه. وقوله: تبلىٰ السرائر هو يوم القيامة بلا شك..).

قلتُ: حاول الكاتب أن يقصر ما ذكرتُه عن البوصيري في بردته وما أوردته عن البكري والبرعي من أبيات فيها الغلو في النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصرف العبادة له، حاول أن يقصر معانيها علىٰ ما يكون في يوم القيامة من شفاعة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المقام المحمود..! والكاتب الذي حمّل نفسه مهمة الدفاع عن الصوفية وعقائدهم بتقليد أدخله أنفاق مظلمة صعُب عليه خروجه منها إذ وقع في نقل أحاديث بيّنتُ أنّ بعضها موضوع مُختلق مكذوب وأخرىٰ ضعيفة؛ كما أوقعه تقليده في نسبة كلام لبعض العلماء هم منه براء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وفي النقل أعلاه نجد أنّ الكاتب حاول أن يبرئ ما أتيتُ به من نماذج للغلو في النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقول البوصيري (مالي من ألوذ به سواك) وغيره، حاول تبرئتها من الغلو ومن الشرك بالله، فأنكر ما لا توافقه الصوفية علىٰ إنكاره، وقصر اللجوء إلىٰ المخلوقين من دون الله في موقف واحد! وهذا يناقض دعوة عامة المتصوفة، فإنّ الصوفية ترتبط بالأضرحة واللجوء إلىٰ الشيوخ الأحياء والأموات ودعائهم من دون الله وادِّعاء أنّ لشيوخهم التصرف في الكون وغير ذلك ممّا أراد الكاتب إنكاره، وهو بذلك يخالف ما عليه الصوفية، ولا أدري هل الكاتب يجهل حقيقة التصوف؟! أم أنّه يسير علىٰ شاكلة المثل (عنز وإن طارت) في إنكار الحقائق المؤكدة لمجرد الإنكار أو للخروج من المؤاخذة، وحتىٰ يبرئ ساحة التصوف، ومن

المؤكد أنّنا نتمنىٰ أن لا يلجأ أحد لغير الله في ما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه ونفرح بذلك، لكننا أمام واقع مؤسف ومحزن نجتهد لتغييره بالحُسنىٰ محبة للخير للناس وإبراءً للذمة.

وما ذكره الكاتب هو ما يجتهد السلفيون إليه أي أن لا يُدعىٰ ميت ولا يُدعىٰ حي في ما لا يقدر عليه إلا الله، فالدعاء هو العبادة، وصرفه لغير الله شرك ونصوص الكتاب والسُّنة واضحة في ذلك، ولطالما أورد الكاتب كلامه أعلاه - بل كرره عدة مرات - فإنّي ولأجل المبالغة في النصح له ولغيره، أورد ما يدحض ما جاء به من كتب المتصوفة، ونماذج ذلك من المنظوم والمنثور كثير جدًّا، وأمامي في مكتبتي كتاب «يستنبئونك» للبروفيسور حسن الفاتح قريب الله السّمّاني الطريقة؛ المدير الأسبق لجامعة أم درمان الإسلامية، فإنه قد أورد ما يثبت أنّ اللجوء عند القوم لغير الله - والعياذ بالله - في الدنيا وفي ما لا يقدر عليه إلا الله وأنّه لجوءٌ إلىٰ عامة الشيوخ وليس قاصرًا علىٰ النَّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ! فمن أمثلة ذلك من الكتاب المذكور ما يلي:

جاء في كتاب «يستنبئونك»[1] للبروفيسور حسن الفاتح: أنّ الولي يخرج من قبره ليقضي حوائج الناس، حيث قال: (هل في إمكان الولي أن يخرج بنفسه من القبر ليقضي للناس حوائجهم؟) ثم أجاب بقوله: (بما أنّ الفاعل الحقيقي في حياة الولي هو لله تعالىٰ عملًا بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[2]، فإنّ ذات الفاعل قادر علىٰ فعل ما يشاء حتىٰ بعد

(١) ص ١٨٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٧.

وفاة الولي سواء أكان ذلك منه بإسناد قضاء الحوائج إلىٰ ملك أو إلىٰ صورة تنشأ من همة الولي، أو إلىٰ الولي نفسه حيث أن للأولياء الإطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم، وبها يخرجون لقضاء الحوائج).

كما أورد البروفسور حسن الفاتح وادّعىٰ أنّ الوقوف بين يدي المشايخ أحياءً كانوا أو أمواتًا مقدار (حلب شاة) أو (شوي بيضة) أفضل من عبادة الله تعالىٰ! حيث قال: (علام يستند البعض في دعواهم بأنّ وقوفهم بين يدي المشايخ أحياء أو أمواتًا أفضل من العبادة؟) ثم أجاب بقوله: (كان ولا يزال سند من يدّعون أنّ وقوفهم بين يدي المشايخ أفضل من العبادة، هو ما ورد عن أبي علي الدقاق، أو الفقيه محمد الحسين البجلي حيث قال: رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقلت له: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفك بين يدي ولي كحلب شاة أو كشي بيضة، خير لك من أن تعبد الله حتىٰ تتقطع إربًا إربًا، فقلت له: حيًا كان أو ميتًا؟ فقال: حيًّا كان أو ميتًا)[1].

قلتُ: أرجو ممن لا يصدّق هذا الكلام أن يراجع الكتاب المذكور برقم الصفحة التي ذكرتها، ليرىٰ هذه الخرافات والخزعبلات، وتقديم الوقوف بين يدي الشيخ في حياته أو بعد مماته علىٰ عبادة الله تعالىٰ الذي خلق الخلق لعبادته، وأرجو أن ينتبه كل من يتبع هؤلاء القوم بجهل أنّ هذه من مصادر التشريع عندهم، أن يخبرهم شخص بأنّه رأىٰ في المنام رؤيا للنّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقال افعلوا واتركوا... وبمثل هذه الرؤىٰ تُبَدّلُ الشريعة، ورؤيا الدقاق المذكورة شبيهة برؤيا صاحب مقطع الفيديو المتداول والذي

(١) كتاب (يستنبئونك) ص ١٠٣.

علقتُ عليه بمقال منشور[١] للرد على ما جاء في المقطع المذكور عن رجل يدعى شيخ خليفة زعم فيه أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (شيّخه) وقال له: اضمن بضمانتي! وإن جعل هذه المنامات مصدرًا للعقائد والأحكام من أسباب الانحراف الذي يقع عند أتباع الطرقية.

وقال البروفيسور حسن الفاتح في كتابه «يستنبئونك»[٢] - والذي طُبع عدة طبعات واقتنيته في معرض كتاب دولي خارج البلاد - قال ونشر في الآفاق أنّ الشيخ (السماني) يأت لمن عملوا بعهده في الحال. فإن كانوا في الشرق وهو في الغرب رأوه أمامهم جهارًا في الحال، وأجاب طلباتهم وأمرهم!.وهو خلاف ما ذكره الكاتب أبو عبيدة الذي كتب بكل سذاجة أنّ اللوذ بالنَّبي والاستغاثة به الواردة في كلام البوصيري والبكري والبرعي هي في الآخرة فقط! حيث قال حسن الفاتح: (جاء في كتاب البصائر ما نصه (تواتر عن كثير من الأولياء أنّهم ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم)، ثم قال: (ذكر سيدي السمان في رسالته كشف الأستار عن اسمه تعالى القهار ما نصه: (إن أخذتم يا أولادي عني وعملتم بوصيتي سمعتم كلامي ولو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب رأيتم شخصي، ومهما أشكل عليكم أمر من ورادات سركم وأردتم تستخيرون ربكم في شيء أو قصدكم أحد بأذية فوجهوا وجهكم وصفوا سركم وأطبقوا عين حسكم وافتحوا عين قلبكم فإنكم تروني جهارًا فاستشيروني حينئذ في جميع أموركم واطلبوا مني حوائجكم فما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه).

---

(١) نشر المقال على عدة روابط، منها : https://cutt.us/v94Vw

(٢) ص١٥٦.

وفي نفس الكتاب[١] تحت عنوان: (من يقول إن الميت لا يقضي الحوائج ويفرق بين الولي الحي والولي الميت في ذلك فهو: مُشْرِك فَاسِدُ العقيدة!)، يقول البروفيسور حسن الفاتح: (الشيخ قد يكرمه المولىٰ أثناء حياته فيقضي للناس حوائجهم إذا ما توسلوا إليه به أو بعمله، وقد ينيله ذات الفضل أثناء مماته إذا ما توسلوا به كذلك أو بعمله..). وهذا من ضرورات التصوف ولا أدري كيف تجرأ الكاتب المقلد لإنكار ذلك!.

وممّا ورد في نفس الكتاب[٢] دعوىٰ حسن الفاتح أنّه قد شوهدت الكعبة المشرفة تطوف بجماعة من الأولياء!.

بل يدعي مؤلف كتاب «يستنبئونك» البروفيسور السماني أنّ الأولياء يتصرفون في الكون في عالم الغيب والشهادة والبرزخ والملكوت والجبروت فأورد[٣] أنه وبالبخورات فإن علماء الباطن يتصرفون في (عالم الغيب والملكوت) ورجال الحد: يتصرفون في (عالم الجبروت) ورجال الظاهر: يتصرفون في (عالم الشهادة) ورجال المطلع: يتصرفون في (الأسماء الإلهية)!! ثم بيَّن من هم رجال الظاهر، والباطن، ورجال الحد، ورجال المطلع بقوله:

١. رجال الظاهر، وهم من (صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، وهؤلاء لهم التصرف في عالم الملك والشهادة.

٢. رجال الباطن، وهم من (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)، وهؤلاء

(١) ص١٥٤.
(٢) ص١٦٣.
(٣) ص١٨٣.

لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت، فيستنزلون الأرواح العلوية بهممهم فيما يريدونه مستعينين علىٰ ذلك بالبخورات وما أشبهها، علمًا بأنّ الأرواح المستنزلة هي أرواح الكواكب لا ذوات الكواكب، بل ولا أرواح الملائكة من حيث أنّ الأولىٰ قد جعل الله تعالىٰ المطالع شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بها؛ أمّا الأخيرة (أعني أرواح الملائكة) في لا تتنزل إلا بأمر الله عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[1].

٣. رجال الأعراف أو رجال الحد، وهؤلاء هم أهل الشم والتمييز والسراح عن الأوصاف حيث لا صفة لهم، ممن خُصوا بالتصرف في عالم الأرواح النارية (عالم البرزخ والجبروت) فيستنزلون أرواح الشهب والثواقب، إنهم رجال الرحمة التي وسعت كل شيء، ورجال الحد الفاصل بين دار السعداء ودار الأشقياء ومن ثم فلهم في كل حضرة دخول واستشراق.

٤. رجال المطلع أو الملامتية، وهؤلاء لهم التصرف في الأسماء الإلهية فيستنزلون بها كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة السابقين.

قلتُ: هذا شيء من الاعتقاد الصوفي الذي حاول الكاتب أن يخفيه، وقد أتاح لي الكاتب بما كتب بهذه الصحيفة وانتقل هذه الأيام ليعيده ويكرره في صحيفة (آخر لحظه) أتاح لي فرصة مناسبة لمزيد من التعريف بالتصوف والصوفية والذب عن السلف والسلفية، ولبذل المزيد من التوضيح وتمليك جزء يسير من الحقائق الكثيرة التي لدينا والتي تخفىٰ علىٰ كثيرين، فإنه بما نشر وادّعىٰ وافترىٰ كان تعقبه ولو بهذا الموجز واجبًا رغم امتداد الحلقات

(١) سورة مريم: الآية ٦٤.

وتأخير الكتابة في موضوعات ملحة، ولعله يكون من باب: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1].



(١) النساء: (١٩).

(١٤)

قال الكاتب أبو عبيدة عمر: (وقال في بيت آخر فمن كان قطب الكون في حال عصره سواه؟ ومن كان قد فاز بالبدلية؟؟) وقد أورد هذا البيت وغيره للاستدلال علىٰ وصف شيخ الإسلام ابن تيمية بـ (القطب) في كتاب العلامة ابن عبد الهادي «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» ثم قال: (والأمر في كل هذا مبني علىٰ النية والقصد فمن حسنت نيته حمل كلام الشعراء علىٰ محمل حسن ومن ساءت طويته حمله علىٰ المحمل القبيح).

قلتُ: أولًا ليرجع الكاتب إلىٰ الكتاب المذكور لابن عبد الهادي ليعلم هل هو القائل كما ذكر الكاتب أم أن القائل غير ابن عبد الهادي وساق البيت ضمن شعر طويل![1].

ثانيًا: القاعدة الشرعية التي هي جبل أشم راسخ كرسوخ جبل أحد في مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كلَّ عالمٍ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن من أسهل الأمور عند السلفيين قولهم: فلان أخطأ، وفلان حبيب والحق أحب، وعليه فإن ابن عبد الهادي نقل في كتابه وجمع أقوال أناس في مدح ابن تيمية ولا يظن به إقرارهم علىٰ إطلاق لفظ (القطب)، فهو مصطلح له معناه عند الصوفية لا يقرهم عليه سليم الفطرة، والواجب عند نقل مثل ذلك أن يكون بيان وتوضيح وتعليق ولعل ابن عبد الهادي لم يفعل ذلك لإدراكه أن الخلل في هذا الوصف أي (القطب) يدرك بالبديهة ولا

(١) وهي: للشيخ الإمام جمال الدين عبد الصمد الحنبلي، انظر أول القصيدة ص: ٤٧٨.

يحتاج إلىٰ تنبيه.

وأما ابن تيمية فقد بيّن موقفه من هذه المصطلحات والعقائد التي تضمنتها ونقدها أيّما نقد، كقول الصوفية: الأقطاب والنجباء والنقباء والأوتاد، مما امتلأت به كتب القوم في ما يذكرونه في (مراتب الأولياء)، علمًا بأن مراتب الأولياء بدعة أحدثها بعض الصوفية ذكرها الكتاني المتوفىٰ في القرن الرابع الهجري وتكلم عنها ابن عربي صاحب وحدة الوجود في كتاب (الفتوحات المكية) فإن الصحابة وهم أفضل أولياء هذه الأمة والتابعين وتابع التابعين أصحاب القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالخيرية لم يعرف أولئك عن القطب والغوث والوتد والنجباء والنقباء، كما لم يعرفوا عن عقيدة (ختم الأولياء) قياسًا علىٰ (ختم النبوة) وأن خاتم الأولياء في المكانة بالنسبة للأولياء كمقام خاتم الأنبياء بينهم! وقد تنازع في من هو الختم تنازعًا يشبه تنازع بعض أحفاد الشيوخ في من يكون صاحب السجادة والبيعة وشيخ الطريقة بعد وفاة الأب! ولم تسمىٰ الطريقة (الختمية) إلا لادِّعاء شيخها أنه (الختم) أي خاتم الأولياء، كما قد ادَّعاها الشيخ أحمد التجاني وغيرهما! وفي المسألة التي ما أنزل الله بها من سلطان نزاع طويل ليس هذا محل بيانه، فالصحابة لم يعرفوا تلك المصطلحات والتي تحمل في طياتها عقائد شركية ومنازعة لله عَزَّوَجَلَّ في خواص ألوهيته وربوبيته، فأما المؤمنون فإنهم يسيرون علىٰ الكتاب والسنة وقد جاء فيهما البيان الواضح التام أن الولي هو (المؤمن التقي) من تحقق بالإيمان والتقوىٰ فهو ولي الله تعالىٰ المطيع له المحقق لتوحيده المتبع لسنة نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي القصيدة المشتهرة المسماة (مصر المؤمنة)[1] والتي بلغت شهرتها ما بلغت ذكر لهذه المصطلحات، كقول البرعي (وأقطابنا الأربعة، والدرديري قطب الله، أوتاد الأرض في القِبَل الأربعة، الأبدال والنقبا العشرة في أربعة).

ومصطلح (الغوث) ذكره في مواضع أخرىٰ من قصائده، والمؤسف - حقًا - أن كثيرين يرددون هذه الألفاظ والكلمات دون أن يعلموا معانيها ومدلولاتها، وما يترتب عليها من اعتقاد وللتعريف الموجز فإني أبين ما يلي:

فإن معنىٰ (القطب)[2] عند الصوفية كما فسره شيخهم ابن عربي الطائي وأحمد التجاني وغيرهما وذكَرَتْه معاجم المصطلحات الصوفية أن القطب والذي يسمىٰ (غوثًا) في حال التجاء الملهوف إليه، هو - عندهم - (عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم فهو يفيض بروح الحياة علىٰ الكون الأعلىٰ والأسفل وهو علىٰ قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس) يقول أحمد التجاني في (جواهر المعاني): (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمىٰ عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلًا حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالىٰ فلا يصل إلىٰ الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كالذرة من ذرات الوجود... ثم تصرفه

(١) ديوان رياض الجنة ص٢٨٨.

(٢) معجم مصطلحات الصوفية د.أنور فؤاد أبي خزام ص١٤٣.

في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربـــابها..)، ويقول التجاني أيضًا: (فإذا أزال القطب روحانيته عنها انهدم الوجود كله وصار ميتًّا).

ونقل عبد الوهاب الشعراني في طبقاته[1] عن أبي الحسن الشاذلي أنه ذكر للقطب خمس عشرة علامة من بينها: (أن يمدد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم وما بدا من السر الأول إلىٰ منتهاه).

هذا معني (القطب) عند الصوفية و(الغوث) فهل أدرك ذلك من يردد هذه المصطلحات دون معرفة معانيها ومدلولاتها؟! ومعتقد القطب ينافي وحدانية الله تعالىٰ وانفراده بتصريف الأمور وبالملك والتدبير، وهو جل وعلا من يغيث المكروب ويشفي المريض وعجبًا لقوم يدعون خدمة كتاب الله وهم يناقضون بهذه المعتقدات كتاب الله! ألم يقرأوا في القرآن لجوء الأنبياء في لحظات الشدة لله الحي القيوم؟! فهذا نوح عليه السلام ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾[2] وهذا إبراهيم يقول: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾[3] ويونس وهو في بطن الحوت يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾[4] وموسىٰ يقف أمام البحر فيقول أصحابه:

(١) طبقات الشعراني (٢/ ٧).

(٢) سورة القمر: الآية ١٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ [1] فيقول: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾[2] ويقول: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾[3] وزكريا يستغيث ربه ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [4] ومحمد عليه وعليهم جميعًا أفضل الصلوات والتسليم يقول لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[5]، هذا هو قصص القرآن وهذا هو التوحيد حق الديّان جل جلاله، ولكن أين العلم والفهم والفقه والعمل بالقرآن؟! وأما (الأوتاد) ففسروا معناها بأنهم (الرجال الأربعة الذين علىٰ منازل الجهات الأربع من العالم أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالىٰ)[6]، ولك أن تقول بملء الفم إن هذه إلا خزعبلات وشطحات ما أنزل الله بها من سلطان، وأما (النقباء)[7] فقالوا إنهم: (هم الذين تحققوا بالاسم الباطن فأشرفوا علىٰ بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر وهم ثلاثمائة)، أي أنهم يعلمون المغيبات وإدعاء علم الغيب لأولياء الصوفية هو من الكذب العريض وقد تقدمت حلقة خاصة من هذه السلسلة في دحض شبهاتهم فيه وبيان أدلة اختصاص الله رب العالمين بعلم الغيب، وأما (النجباء) فقال القوم

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٦١.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٦٢.

(٣) سورة القصص: الآية ٢١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٦) انظر الطبقات الكبرىٰ للشعراني (١/ ٥٩).

(٧) معجم مصطلحات الصوفية ص١٧٥.

في تعريفهم بهم: (هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير)[1]، وعقيدة الصوفية هنا ذات صلة بعقيدة النصارىٰ في حمل أثقال الخلق، فلا يزال الكثير من شيوخ الصوفية يدّعون إعطاء الضمان للأتباع والمريدين ولترويج الطريقة ومثل قول إسماعيل الولي[2]: (فمن جاءني بالصدق أقبله وإن به كل وزر لا يبوء بخيبة) كثير، وفي كتاب نشر المحاسن الغالية للنبهاني[3]: (لا يكون الشيخ شيخًا حتىٰ يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ).

وأما (الأبدال) فإن المتصوفة قد بيّنوا معناهم عندهم بقولهم: (قيل هم أربعين وقيل سبعة ومن الأبدال اثنان يعرفان بالإمامين وهما وزيران للقطب، وسبب تسميتهم بالأبدال: أن لديهم قوة يذهبون بها إلىٰ المكان الذي يقصدونه وإذا أرادوا أن تحل صورتهم في مكان ليس هم فيه)[4].

هذا بإيجاز عرض لمراتب الأولياء المبتدعة عند الصوفية وما في معانيها من عقائد فاسدة يجب علىٰ كل من يعتقدها التوبة العاجلة لله تعالىٰ حتىٰ ينجو في عاجله وآجله.

وفي كتاب (يستنبئونك)[5] للبروفيسور حسن الفاتح السماني ذكر لهذه المراتب وأوصلها عشر مراتب قال: (يقول الشيخ علي المكي:

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية ص١٧٢.

(٢) ديوان جامع الشطحات ص٩.

(٣) ص٣٣.

(٤) معجم مصطلحات الصوفية ص٥٢.

(٥) ص١٠٨.

القطب الغوث هو الفرد الجامع والسيد الكريم الذي يحتاج إليه الناس عند الاضطرار، ومنه يطلبون الدعاء. يقول ابن عباد القاشاني: النجباء هم المشتغلون بحمل أثقال الخلق، وهم أربعون، والنقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة. هذا وهناك من صنف مراتب المذكورين أعلاه وغيرهم علىٰ النحو التالي: القطب. الإمامان. الأوتاد وعددهم ثلاثة. الأفراد وعددهم سبعة، وهم موكلون بالأقاليم السبعة، ومسكن كل واحد منهم في إقليمه. الرقباء وعددهم أربعون، النجباء وعددهم سبعون. النقباء وعددهم ثلاثمائة. العصائب وعددهم خمسمائة. الواصلون الحكماء. الرجبيون). انتهىٰ من كتاب يستنبئونك! وطالما هذه العقائد لم ترد في وحي الله كتابه وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلا غرابة أن يتفاوت منظروا التصوف في مراتب الأولياء المزعومة وعددها!

وأما قول ابن تيمية - بل قول سائر الأئمة الموحِّدين السائرين علىٰ الكتاب والسنة - في حكم هذه الخزعبلات والترهات فيحكيه ابن تيمية بقوله في «الفتاوىٰ»[(١)]: (وأما سؤال السائل عن (القطب الغوث الفرد الجامع) فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتىٰ يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارىٰ في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل؛ فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة

(١) (٩٦/٢٧).

في (العقول العشرة) الذين يزعمون أنها الملائكة، وما يقوله النصارىٰ في المسيح، ونحو ذلك كفر صريح بإتفاق المسلمين، وكذلك عنىٰ بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا يسمونهم (النجباء) فينتقىٰ منهم سبعون هم (النقباء)، ومنهم أربعون هم (الإبدال)، ومنهم سبعة هم (الأقطاب)، ومنهم أربعة هم (الأوتاد) ومنهم واحد هو (الغوث) وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلىٰ الثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وأولئك يفزعون إلىٰ السبعين، والسبعون إلىٰ الأربعين، والأربعون إلىٰ السبعة، والسبعة إلىٰ الأربعة، والأربعة إلىٰ الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب، فإن لهم فيها مقالات متعددة حتىٰ يقول بعضهم: إنه ينزل من السماء علىٰ الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره علىٰ قول من يقول منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضرًا، فإن لهم في ذلك قولين، وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للإقتداء بهم...).



فهرس المحتويات






حوار مع صوفي
مناقشة علمية لأحد الكُتّاب
الأُستاذ الدُكتور
عارف بن عوض الركابي